أحلام بدرية

رواية

علي الشوباشى

استيقظت بدرية من نومها العميق منتفضة ، وقد شعرت أن يداً تهزها من كتفها ، ورأت وجه مخدومها جيفرى بالقرب من وجهها فى فراشها المتواضع . كانت لاتزال ذاهلة من أثر النوم ، فلم تلحظ أنه قد تمدد بجسمه على السرير إلى جوارها فسألته بشىء من القلق :

- هل أندرو بخير ؟

كانت درجة حرارة الصبى قد ارتفعت قبل موعد نومه ، بقليل ، وأعطته والدته حبة من الأسبرين قبل أن يأوى إلى فراشه ، لذلك فقد تصورت بدرية ، عندما أيقظها جيفرى ، أن الصبى يعانى شيئاً ، وأن أبويه يريدان منها أن تعاونهما بعمل ما . وشعرت بدرية بيده التي كان يهز بها كتفها منذ لحظات ، وقد انزلقت إلى أسفل ، وتسللت من تحت ردائها إلى فخذها ، وحاولت بدرية أن تصرخ ، لكن صرختها لم تكتمل . فقد أسرعت يد جيفرى إلى فمها فسدته . وسمعته يقول بصوت منخفض ، حاول أن يكون مهدئاً ومقنعاً فى أن واحد :

- لا تخشى شيئاً ولا تصرخى ، فقد توقظين مارلين ..

وإذا استيقظت ورأت هذا المنظر ، فلن تمكثى فى المنزل لحظة واحدة .

كان يجفرى يعلم أن اشد ما تخافه بدرية هو أن يتم الاستغناء عن خدماتها . فقد عرف من زوجته أن بدرية تفضل الموت على العودة للحياة فى منزل أسرتها . وقد فسر ذلك ، بمنظقة الغربى ، بأن الفتاة تريد أن تشعر بحريتها بعيداً عن منزل أهلها .

وأبعد يده اليسرى عن فم الفتارة ، بينما يده اليمنى نصعد وهى تتحسس فخذها حتى لامست أسفل إليتها .

لكن بدرية ، التى كانت قد استيقظت تماما ، أبعدت يده بقوة لم يكن يتصور أنها قادرة عليها ، وقالت هامسة :

- لا يا مستر جيفرى . أرجوك أن تعود إلى فراشك فى هدوء .

وأزاحت ساقيه بقدمها ، حتى سقطتا على الأرض . ونهض الرجل مبتسماً ، وقال لها :

- أتعرفين أنك تعجبيننى جداً يا بدرية ؟

وقالت الفتاة وهى ترفع صوتها قليلاً :

- متشكرة . لكن عد إلى فراشك ، فأنا لست كما تتخيل .

ومضى جيفرى خارجاً ، وقال بصوت لايزال هامسا :

- أنت تعجبيننى حقاً .

جلست بدرية فى سريرها ، وقد أسندت ظهرها إلى وسادتها بعد أن رفعتها وأصقتها بظهر السرير ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة امتزجت فيها الدهشة بالشعور الأنثوى بالفخر . وقالت لنفسها إنها لم تحاول مطلقاً إغواء جيفرى ، ومع ذلك ، فقد نظر ذلك الرجل الذى كان يبدو جاداً وقوراً . وتذكرت أنها لاحظت مرة ، بينما هى تعمل بهمة ونشاط فى تنظيف المنزل ، أن جيفرى ينظر نحوها بتمعن ، وعندما واجهته بعينيها ، أشاح بوجهه عنها . وقد تساءلت يومها ، هل ينظر جيفرى إليها كأنثى ؟

لكنها طردت ذلك الخاطر عن ذهنها وقالت لنفسها إنها يجب أن لا تستسلم للأوهام . فأين هى ، الفتاة الأمية الفقيرة ، من ذلك الموظف الأمريكى الكبير فى فرع أحد البنوك الأمريكية التى بدأت نشاطها فى مصر مؤخراً ؟

وتحسست بدرية فخذها فى المكان الذىربتت عليه يد جيفرى ، وابتسامتها تزداد اتساعاً ، إن جيفرى ، فى نظرها ، رجل طويل القامة ، ذهبى الشعر ، أزرق العينين ، صارم الوجه ، وفى الوقت ذاته مهذب فى تعامله معها .

لكن ابتسامتها غاضت عندما فكرت فيما يمكن أن يحدث مستقبلاً . كانت واثقة أن هذه الزيارة الليلية إلى حجرتها لن تكون الأخيرة . فما هو الموقف الذى يجب عليها أن تتخذه حيال جيفرى ؟ وهل ، إذا أصرت على صده ، سيطردها من خدمته ؟ وتنفست بدرية الصعداء وهى فى حيرة من أمرها . إنها فى قمة سعادتها منذ أن بدأت العمل فى هذا المنزل . فالمرتب محترم ، ومعاملة جيفرى ومارلين لها فيها قدر كبير من الإنسانية . وهما راضيان كل الرضى عن عملها . فهى تبذل فى الواقع طاقة خارقة لكى يكون كل شىء فى المنزل نظيفاً براقاً ، وتعمل من مطلع الشمس من أجل ذلك . لقد نامت على سرير لأول مرة فى حياتها عندما التحقت بالعمل عندهما . لذلك فهى تريد أن تستمر فى العمل فى هذا المنزل على الأقل طوال مدة بقاء جيفرى فى القاهرة . ومن يدرى ، ربما رشحها للعمل عند من سيحل محله عند نقله من القاهرة ، . إنما حريصة كل الحرص على هذا العمل ؛ وكثيراً ما أخذت تحسب ، وهى مستلقية فى سريرها قبل أن يغشاها النوم ، كم تستطيع أن تقتصد من مرتبها كل عام حتى تجمع مبلغاً يمكنها أن تفتح به مطعماً صغيراً فى حي مناسب ، وباتت تحلم بأن هذا المطعم سيكبر ويتسع ، ثم تنقله إلى حى أفضل ،

وهكذا حتى تصبح من أصحاب الثروات . لكن كل هذه الأحلام عرضة للانهيار الآن .

وقالت بدرية لنفسها إنها ستتصرف التصرف المناسب – الذى لا تعرف كنهه الآن – إذا ما تكررت زيارات جيفرى لحجرة نومها ، فإن عليها أن تنام الآن لكى تقوم نشيطة فى الصباح الباكر لتؤدى عملها كما اعتادت . وانزلقت حتى تمددت فى السرير . لكن النوم استعصى عليها .

تساءلت بدرية ، ماذا يضيرها لو استسلمت لجيفرى ؟ إنها معجبة به إعجابا شديدا ، فهو – فى نظرها – رجل وسيم ، ثم إنه موظف كبير فى بنك ، بالإضافة إلى أنه أمريكى الجنسية ، وكلها مزايا تجعل إعجابها به كبيراً .

وهى على أية حال ليست عذراء منذ أن اغتصبها زوج أمها ذات يوم لم يكن به أحد من أخوتها ولا أمها ، فهى الحجرة الواحدة التى يعيش فيها جميع أفراد الأسرة .

حاولت أن تقاوم ، لكن الرجل ضربها ، ولم تجرؤ هى على أن ترفع يدها عليه وكان ما كان ، شعرت يومها بتقزز شديد وأخذت تبكى وهى تقول بينها وبين نفسها إن أباها الذى لم تعرفه قط ، إن أنه توفى قبل أن تولد بشهرين ، لو كان لايزال على قيد الحياة ، لكان قد حماها من هذا الاعتداء البشع على جسدها ، وحذرها سيد ، زوج أمها ، من أنها لو حكت شيئاً مما حدث لأى شخص ، سواء من الأسرة أو من صديقاتها ، فسيذبحها ، وطلب منها أن تكف عن البكاء حتى لا تشك أمها أو أخوتها فى شىء . وقال لها إنه ، لو حكت ما حدث لأى مخلوق فسينكره ، وسيذبحها قائلاً إنه ينتقم لشرف أسرته ، وفى هذه الحالة لن يحكم عليه إلا بعقوبة طفيفة جداً ، بل وربما بالبراءة . حدث ذلك منذ خمسة أعوام ، أى أنها كانت تبلغ من العمر أربع عشرة سنة . ومنذ ذلك التاريخ ، أصبح سيد يختلق المناسبات لكى ينفرد بها فى الحجرة ليمارس معها الجنس . كانت تتمرد عليه بينها وبين نفسها ، وتحاول أن تهرب من الحجرة كلما أحست أن يدبر أمر الانفراد بها .

وكانت تنجح أحياناً ، لكنه كان يحبط محاولتها الهرب معظم الأوقات . وفى هذه الأحوال ، كانت تستسلم صاغرة . فقد كان سيد قاسياً ، وضربه مبرحاً . وكان أخشى ما تخشاه هو أن يشوه وجهها أو جسمها بعنفه .

فقد كانت شديدة الاعتزاز بوجهها المتناسق التقاطيع . وجسمها الملفوف الرشيق . وكان سيد يهددها فعلاً بأن يقوم بذلك . وكانت هذه هى تجاربها الجنسية الوحيدة . بل إنها كرهت العملية الجنسية ، وطالما صدت شباب الحى الذين كانوا يطاردونها ويطارحونها الغرام . كما صدت أكثر من مرة مراهقى المنازل التى عملت بها .

وكانت كثيراً ما تتساءل : هل لو مارست الجنس برضاها مع شخص تشعر نحوه بالإعجاب ، ستستمتع ؟ كانت كثيراً ما تسمع من جاراتها المتزوجات عن متعة الجنس ، وكانت أول الأمر تتخيل أن محدثتها تقول ذلك لأنها لا تملك الخيار . لكن تواتر تلك الحكايات جعلها تعيد التفكير فى الأمر ، وهى الآن تتساءل ، هل آن الآوان لكى تجرب ؟

لكن بدرية رفضت – بينها وبين نفسها – فكرة الاستسلام لجيفرى . فقد قدرت المشاكل التى قد تنجم عن ذلك . قالت لنفسها أنه إذا بلغ مأربه منها ، فقد يطردها من خدمته . وحتى إذا نجحت فى إغرائه بمواصلة علاقتهما ،فقد تكتشف مارلين الأمر ، وتصر على الاستغناء عن خدماتها . كذلك فمن الممكن أن تحمل ، وتتفجر فضيحة لا يعلم إلا الله ما يمكن أن تصل إليه الأمور ، لذلك فقد قررت أن تصده برفق حتى لاتستفزه .

وهو على أية حال قد لايضر إذا أحس برفضها القاطع ، فهو يستطيع أن يجد بديلات لها بسهولة كبيرة . بما يملك من مال وجاذبية .

وتذكرت كيف بدأت خدامة فى المنازل عندما زادت تكاليف المعيشة ، بينما دخل الأسرة متذبذب ، لا يكاد يفى بضرورات الحياة . لم يكن سيد أو أمها أو أحد من أخوتها يعمل عملاً ثابتآ . كانت أمها تشترى الفجل أو الجرجير الليمون أو غيرها ، ثم تسرح بما تشتريه لتبيعه للمارة فى الشوارع غير البعيدة عن حجرتهم فى إمبابة ، أما زوج أمها ، فهو بائع روبابيكيا ، يجر عربة صغيرة يسير بها فى الشوارع ، وينادى بصوت مرتفع على بضاعته ، فيشترى ما يريد الناس أن يتخلصوا منه فى منازلهم ، ثم يبيعه لآخرين فى حاجه إليه . ولا يزيد دخل والديها يومياً عن بضعة قروش ، قد تصل إلى جنيه وبضعه قروش عندما يحالفهما الحظ فى بعض الأيام . وشقيقها الذى يكبرها بعامين إبراهيم يعمل سباكآ يصلح الحنفيات والسيفونات ، ويلحم مواسير المياه الظاهرة التى تسيل منها الماء . لكنه فى الواقع لم يتعلم المهنة ، وإنما يمارسها كيفما اتفق . لذلك فدخله منها بسيط ، بالإضافة إلى أنه يدخن السجاير والحشيش . لذلك فهو يشارك فى مصروف المنزل باقل ما يمكن . ولولا خشيته من بطش زوج أمه لما شارك بمليم واحد . أما فتحى ، أخوها غير الشقيق ، والذى يصغرها بحوالى أربعة أعوام ، فقد حاول أبوه أن يلحقه بورشة نجارة ، لكنه لم يستقر بها . ثم عمل صبياً فى محل لتأجير العجل ، لكنه طرد منه شر طردة لأنه أخذ يوماً عجلة وغاب أكثر من ثلاث ساعات بدون مبرر . ويحاول أبوه هذه الأيام أن يلحقه بالعمل فى ورشة لإصلاح إطارات السيارات تعرف على صاحبها منذ

فترة . وأختها بتعة ، أخر العنقود ، لا تزال تعمل خادمة عند أسرة مصرية ، لكن مرتبها يقل عن ربع ما تتقاضاه بدرية .

وعملت بدرية فى منازل كثيرة منذ بلغت الرابعة عشرة من عمرها . لكنها فى معظم الأحيان كانت تهرب بسبب سوء المعاملة ، على الرغم مما كانت تتوقعه من ثورة سيد عليها .

والتقت منذ بضعة شهور عند الجزار بخادمة ترتدى ملابس أنيقة ، وكأنها ربة منزل محترمة . وتبادلت معها بدرية أطراف الحديث ، فعلمت منها أنها تعمل عند

" جماعة خواجات " . وذهلت عندما عرفت مرتب الفتاة ، وسألتها باهتمام ، كيف توصلت إليهم ، فقالت لها الفتاة إن ذلك تم عن طريق مكتب للتخديم . وأخذت بدرية من الفتاة عنوان هذا المكتب ، وتوجهت إليه لتقدم نفسها وتعرض خدماتها . ورأى صاحب المكتب أنها على شىء من الملاحة ، وأن ملابسها نظيفة ، فقبل أن يحاول إلحاقها بعمل مقابل نسبة من دخلها . وهو ما وافقت عليه وهى سعيدة . ثم دخلت فى متاهة استخراج بطاقة شخصية ، وصحيفة سوابق وغير ذلك من الأوراق اللازمة لاستخراج هذه الشهادات . ولم يكن سيد متحمساً لكل تلك الإجراءات لكن بدرية أقنعته بأن ذلك سيتيح لها الحصول على مرتب كبير تساعد به فى رفع مستوى معيشتهم . وساعدهم على مضض فى الحصول على تلك الأوراق .

وكان جيفرى ومارلين أول منزل لأجانب تعمل به . وقد تردد الزوجان فى إلحاقها بالعمل عندهما أول الأمر عندما عرفا أنها أمية . ولكنهما لاحظا أن ذاكرتها جيدة ، وتستطيع ، بدون ورقة أو قلم ، أن تحسب النقود بدقة وبغير خطأ . وقد شجعها على اختيارها أن مظهرها العام كان " مقبولاً " وأن أندرو ، ابنهما البالغ من العمر ست سنوات ، ارتاح إليهما . وبذلت بدرية جهداً كبيراً لكى ترضى عنها مارلين ، وتحقق لها ذلك .

وقد طلبت منهما بدرية ، بعد بضعة أسابيع من العمل ، أن تبيت فى المنزل ، خاصة وأنه كان يضم حجرة خاصة وحماماً صغيراً للخدم . ولم ترق لهما الفكرة أول الأمر . لكن مارلين سألتها عن السبب فى هذا الطلب . وصدقت بدرية فى إجابتها موضحة للسيدة الأمريكية كيف يتكدس ستة أشخاص فى حجرة واحدة مساحتها نصف مساحة حجرة صالون منزلها ، وكيف ينامون جميعاً متلاصقين على حصر مفروشة على الأرض . وأصيبت مارلين بالدهشة ، وأمطرتها بالأسئلة عن أسلوب نومهم وعن ممارسة حياتهم اليومية فى هذه الظروف . وأخيراً ، وبعد شيء من التردد ، قبل الزوجان أن تقيم بدرية بصفة دائمة فى المنزل .

كانت بدرية إذن فى قمة سعادتها . لكن زيارة جيفرى الليلية تكاد تعصف بكل شيء وفجأة ، وجدت بدرية نفسها تبكى . هل ستفقد كل ما تنعم به الآن ؟ومشروعات المستقبل سوف تنهار ؟ لكن التعب غلبها ، فراحت فى سبات عميق بعد أكثر من ساعتين من الأرق . ، وعلى الرغم من الكوابيس التى لاحقتها أثناء نومها ، فقد قامت تعمل بنشاط صباح اليوم التالى كعادتها .

لم يكن جيفرى ما كفرسون وسيماً كما كانت بدرية تراه . كان طويلاً حقاً ، تجاوز طوله متراً وخمسة وثمانين سنتيمتراً ، لكنه كان محدودب المظهر ، حتى يبدو كأنه سينكفىء على وجهه بينما هو يسير . وكان شعره أصفر اللون فعلاً ، لكنه كان خفيفاً ، وثمة صلعة فى منتصف رأسه . أما عيناه الزرقاوان ، فقد كانت زرقتهما كالحة ، تكاد أن تكون بيضاء ، ويعلوهما حاجبان غزيران ، لكن لونهما الأصفر الذى يقترب من الأبيض ، يجعل منظرهما يبدو غريباً . وكانت نظرته تنم عن خبث ودهاء . تثير قلق من ينظر إليه . كما كانت شفتاه غليظتين ، وأنفه كبير منتفخ . وكان جيفرى يعرف أن شكله ليس جذاباً . ولم يمنعه ذلك – بل لعله كان السبب – من أن يحاول إغواء أى امرأة يستطيع الانفراد بها . وكان قد حاول التقرب من سكرتيرته بمجرد . تسلمه لعمله فى فرع البنك الذى يعمل فيه بالقاهرة .

لكن الفتاه . وقد كانت جميلة رشيقة تتقن الإنجليزية كما يتقنها أهلها ،. صدته بعنف دهش له .

لم يكن غريباً عنه أن تصده امرأة ، فقد اعتاد ذلك لكن صد الفتيات الأمريكيات له عندما كان موظفاً فى المقر الرئيسى للبنك فى هيوستن . كان يتسم بالرقة والحزم معاً ، خاصة وأنه ، بسبب عدم ثقته فى جاذبيته ، لم يكن يقدم على مغازلتهن بفظاظة أو عنف أما الفتاة المصرية ، فقد كانت حادة فى صده إلى مدى أدهشة . وقد عزا ذلك إلى أخلاق الشرقيات ، وأحجم عن محاولاته معها . وفوجىء فى اليوم التالى بنقل الفتاه من مكتبه وتعيين أخرى تجاوزت الخمسين من عمرها ، ليس فيها أثر للجاذبية أو الأنوثة ، وبعد تردد ، سأل مدير البنك عن سبب نقل سكرتيرته ، فقال له هذا إن الفتاة من أسرة مصرية كبيرة ذات نفوذ ، ولم تتعود أن يعاملها أحد بغلظة ، وقال له إنه – ربما بغير قصد منه – أعطاها أمراً بصورة لم تعتدها ، فطلبت نقلها إلى إدارة أخرى ، وتنفس جيفرى الصعداء ، فقد كان يخشى أن تكون الفتاة قد شكت للمدير وقصت عليه ما حدث ومن يومها قرر جيفرى ألا يعاكس امرأة مصرية حتى لا تحدث له مشاكل .

وعندما علم من مارلين أن بدرية تريد أن تبيت فى منزلهما ، قال فى نفسه إن هذه الفتاة المقبولة شكلاً لن تسبب له أية مشكلة لو حاول معها . قد تصده ، لكنها لن

تجرؤ على إخبار أى شخص ، سواء مارلين أو أهلها . وكانت زوجته تصاب أحياناً بحالة من التوتر العصبى ،. فكانت تتناول فى هذه الحالة ، قبل أن تدخل سريرها لتنام ، أقراصاً مهدئة تجعل نومها عميقاً . وانتهز جيفرى الفرصة فى إحدى هذه الليالى لكى يزور بدرية فى حجرة نومها .

كان يتوقع أن تصده فى المرة الأولى بسبب المفاجأة ، لكن فى المرة الثانية ستكون فى انتظارة . لذلك فهو لم يصر على أن يفعل معها شيئاً فى محاولته الأولى ، وعاد إلى حجرة نومه وقد أيقن أن المسألة وقت فحسب .

كان جيفرى يعمل فى مقر البنك الرئيسى فى هيوستن ، عاصمة ولاية تكساس . وقد فاجأه رئيسه فى العمل ذات يوم بأن عرض عليه منصب نائب مدير فرع البنك فى القاهرة ، وأعطاه مهلة للتفكير فى الأمر ، كان جيفرى متحمساً لقبول العرض ، ففيه ترقية ما كان يحلم بها بمثل هذه السرعة ، ثم إن المرتب المعروض عليه مغر إلى حد كبير . لكنه كان يعلم أن مارلين لن تقبل الأمر بسهولة . فأسرتها تقيم فى هيوستن . وعلى الرغم من أنها كانت لا ترى شقيقها أو أباها وأمها كثيراً ، إلا أنها كانت تشعر بالأمان بسبب الإحساس بأنهم يقيمون فى نفس المدينة . وقد استغل جميع الحجج والضغوط لكى يحملها على الموافقة على الانتقال لتعيش فى القاهرة . كانت ترد بأنهم سعداء فى هيوستن ، فما الذى يدعوهما إلى تركها ليعيشا فى "دولة متخلفة ، جوها حار وأهلها غير متحضرين " . وسألته إن كنت ستنتقل فى القاهرة على ظهر جمل ؟ وقالت إنها تخشى من التماسيح التى تجوب شوارع هذه المدينة . وتوجه جيفرى إلى القنصلية المصرية ، وأحضر لها كتباً مصورة عن القاهرة ، وكتباً أخرى عن الأثار الفرعونية مليئة بالصور الملونة ، وقال لها : " أن السائحين يدفعون آلاف الدولارات لكى يزوروا هذه الآثار " بينما هما سيذهبان إلى مصر ويزوران آثارهما ، وفوق ذلك سيتقاضيان مرتباً كبيراً . المهم أن مارلين اقتنعت بعد لأى ، لكنهما اشترطت عليه أن تعود إلى بلدها إذا لم تحل لها الإقامة فى القاهرة وقبل جيفرى أن يتعهد لها بذلك .

وقد أصابت الدهشة مارلين عندما شاهدت شوارع القاهرة ، وإن أزعجها ضجيجها . كما أعجبت باستقبال المصريين لهم كلما خرج ثلاثتهم للنزهة فى أى مكان ، وبصفة خاصة أن كثيراً ممن قابلتهم كانوا يتحدثون الإنجليزية . صحيح أن إنجليزيتهم لهم تكن ممتازة ، ونطقهم لها كان يثير ضحكها أحياناً ، لكنها سرعان ما اعتادت على تلك اللهجة الغريبة . وعلى أية حال فهما – جيفرى وهى – لم يكونا يلتقيان بالمصريين كثيراً . فقد لاحظت أن عدد الأمريكيين فى القاهرة لا بأس به ، وهم يكادوا يعيشون فى مجتمع مغلق عليهم . صحيح أن بعضهم له أصدقاء من

المصريين ، لكنه لم يكن يدعوهم إلى السهرات التى كانت تقتصر على الأمريكيين وحدهم . كذلك فإن مارلين نادرآ جداً ما كانت تحتاج لشراء شيء من السوق المصرية . فالغالبية العظمى من احتياجاتهم كانت تأتيهم من أمريكا ، حتى الخبز والماء المعدنى والمبيدات الحشرية وغيرها . لذلك فهى لم تكن فى حاجة للنزول إلى السوق فى مصر إلا نادرآ . كما أن بدرية كانت تقوم بتنظيف الشقة ، وغسيل الملابس وملاءات الأسرة ثم كيها . أما الأكل ، فلم يكن يحتاج من مارلين أكثر من نصف ساعة أو نحوها يومياً . فالمأكولات التى كانت تأتى من الولايات المتحدة كانت نصف جاهزة ، ما عليها تقريباً إلا تسخينها . لذلك فإنها بدأت تشعر بالملل بعد مضى بعض الوقت ، وبصفة خاصة فى الصباح و عندما يكون جيفرى فى عمله .

ولاحظ جيفرى ذلك وخشى أن تطالبه بالعودة إلى الولايات المتحدة ، لذلك فقد حاول ونجح فى إلحاقها كمدرسة للغة الفرنسية ، التى كانت تعلمتها طوال دراستها ، بالمدرسة الأمريكية الملحقة بالسفارة لتعليم أبناء الأمريكيين المقيمين فى القاهرة ، والتى كان ابنهما أندرو تلميذاً بها . وهكذا أمن خطر طلبها بالعودة إلى بلدها .

كانت بدرية تقوم فى الساعة السادسة من صباح كل يوم ، وتبدأ بإعداد المائدة ثم تضع فوقها طعام الإفطار . وفى أول الأمر ، كانت تخطىء فى وضع الأوانى والأدوات فى مواضعها التى تعودت الأسرة عليها ، لكنها تعلمت نظامهم بسرعة لأن مارلين كانت تلفت نظرها لخطئها برقة وبغير فظاظة . وبعد إعداد المائدة ، تعد حمام آندرو وتخرج الملابس التى سيرتديها للذهاب إلى مدرسته . وفى تمام السابعة ، توقظ الصغير وتأخذه إلى الحمام . وقد طلبت منها مارلين ألا تحميه بنفسها ، وإنما تشرف عليه أثناء حمامه ، وتساعده إذا لزم الأمر . وبعد أن تجفف جسده ، تشرف عليه وهو يرتدى ملابسه بنفسه ، ثم تصحبه إلى حجرة المائدة فى حوالى السابعة وعشرين دقيقة ، حيث يكون جيفرى وزوجته قد أخذا مكانيهما بعد أن تكون مارلين قد أعدت الشاى والطعام الذى يحتاج للإعداد فى المطبخ . وبعد أن يتناول الثلاثة طعام إفطارهم ، يغادرون المنزل فى الساعة الثامنة إلاالثلث . جيفرى لعمله ، ومارلين وآندرو للمدرسة . وتتناول بدرية طعام إفطارها على نفس المائدة – كما طلبت منها مارلين – محاذرة أن تأكل شيئآ قد يكون لحم الخنزير من مكوناته ، ثم تفتح الراديو وتعيد المأكولات الباقية إلى الثلاجة ، وتغسل الأوانى فى المطبخ . ثم تدخل حمام جيفرى ومارلين لتلتقط الثياب التى يتركانها لها فى سلة خاصة ، وتفعل نفس الشيء فى حجرة أندرو ، وتضع تلك الثياب فى ماكينة الغسيل . وتديرها . ثم تبدأ بتنظيف حجرة المائدة قبل باقى الغرف ، وهى تصاحب أغانى الراديو بصوت عال . وبعد أن تنتهى من تنظيف المنزل تماماً تخرج الثياب المغسولة والتى تم

عصرها وتجفيفها داخل ماكينةالغسيل ، تكويها كأحسن ما يكون قبل أن ترصها بعناية فى أماكنهم داخل الدواليب والأدراج .

وقد تعلمت بدرية أن " الخواجات " يهتمون جداً بالنظام والدقة ،وبأن يكون كل شىء فى مكانه الذى لا يتبدل .

لذلك كانت حريصة على تذكر موضع كل شىء بدقة متناهية ، بحيث تعيده إلى مكانه بالضبط فى حالة اضطرارها لزحزحته لتزيل الأتربة من تحته ، سواء فى ذلك الكراسى الكبيرة والكنب ، أو التماثيل الصغيرة وغيرها من التحف الموضوعة على الموائد الصغيرة فى حجرة المعيشة أو الصالون ، أو الملابس التى تم كيها .

صحيح أن الآلات الحديثة كانت تساعدها كثيراً فى عملها ، مثل ماكينة غسيل الثياب ، وتلك التى تغسل المواعين ، والمكنسة الكهربائية وغيرها ، إلا أنها كانت تبذل مجهوداً كبيراً لكى تجعل كل شىء يبرق من النظافة .

وكانت بدرية قد عرضت على مارلين أن تطبخ لهم طعامهم ، فقد كانت تنتهى من أعمال المنزل كلها قبل الواحدة ، والأسرة لا تعود قبل الثانية والنصف . لكن الأمريكية قالت لها إنهم لم يعتادوا على طريقة الطهو المصرية . وأن إعداد الطعام لا يستغرق منها وقتاً طويلاً لكن بدرية قامت ذات يوم فى غيبتهم ، على الرغم من ذلك ، بإعداد طبق من البصارة . وقد أعجبهم طعمها ، لكن أندرو ومارلين أصيب بمغص أتعبهما ، وتوقفت بدرية عن محاولاتها عندما قالت لها السيدة الأمريكية إنها سبق وأخبرتها أن معداتهم لا تتحمل الطعام المصرى .

وفى اليوم التالى لزيارة جيفرى لحجرتها ، كانت بدرية تفكر وهى تعمل ، كيف تقنعه بأن يكف عن محاولاته معها إذا ما تكررت زياراته الليلية ، حتى أنها لم تفتح الراديو . لكنها لم تصل إلى قرار فى هذا الشأن فهى تارة تقول لنفسها إنها ستهدده بإبلاغ الأمر لمارلين ، لكنها تعدل عن ذلك قائلة ستطردها من العمل فوراً حفاظاً على زوجها . وتارة أخرى تقول إنها ستهدده بإبلاغ زوج أمها ، لكنها تبتسم فى مرارة ، فما الذى يمكن لجيفرى أن يخشاه من سيد ؟ إن جيفرى أمريكى لا يستطيع سيد إزاءه شيئاً .

وحتى إذا هدده بالفضيحة ، فإن جيفرى ، بحنفة صغيرة من الدولارات يستطيع أن يأخذ منه تصريحاً بأن يعاشرها جنسياً وأنفها فى الرغام كلا . . ليس هناك حل سهل . وإذا أبلغت شقيقها إبراهيم فهى لا تعرف كيف يكون رد فعله . فقد يهز كتفيه بلا مبالاة ويتهمها بأنها عاهرة وأنها لو كانت محترمة لما جرؤ جيفرى على مغازلتها

، وإما أن ينتظر جيفرى أمام باب البنك ، ويطعنه بمطواة أو غيرها ، ويدخل هو السجن ، وتفقد هى عملها بفضيحة ، أما أمها وأخوها الأصغر ، فليس هناك أى أمل فى تدخلهما . ومرة أخرى ،قررت بدرية أن تنتظر لترى ما الذى سيحدث ، لكنها واثقة من أمر واحد ، وهو أن جيفرى لابد سيكرر محاولته .

لم يخطىء ظن بدرية ، كل ما فى الأمر جيفرى لم يذهب إليها فى الليلة التالية أو التى تلتها ، وإنما فى الليلة الثالثة . وكان جيفرى قد أجل محاولاته عمدآ حتى يجعل بدرية تتساءل عما إذا كان قد عدل عن فكرته الأولى . ويجعلها فى حالة انتظار دائم لما يمكن أن يحدث .

وبالفعل ، كانت بدرية فى هاتين الليلتين تظل مستيقظة لفترة طويلة قبل أن يغلبها النعاس ، متوقعة أن يدخل عليها جيفرى فى أية لحظة .

وفى الليلة الثالثة ، عندما تسرب شعاع بسيط من الضوء نتيجة لفتح باب حجرتها كانت بدرية لا تزال مستيقظة ودارت ابتسامة ، لكن قلبها كان يدق بعنف ، إذ لم تكن قد اتخذت بعد قررآ واضحآ بالنسبة للموقف الذى ستتخذه . ورأت جسم جيفرى الطويل يدلف داخل الحجرة ، ويغلق بابها خلفه . وكانت عينا بدرية قد اعتادتا الظلام بعد . ورأته بدرية يخلع سترة بيجامته ، ثم سرواله ويتخلص من لباسه ودقات قلبها تزداد سرعة ، وريقها يجف ، وانسل جيفرى داخل سريرها عاريآ كما ولدته أمه . وتخشب جسد بدرية ولم يتحرك أيه حركة . ومد جيفرى يده ، وأخذت يده تتسلل إلى أسفل رداء نومها ، وترفعه ببطء ، وهو يقول لها : -

- هل أنت نائمة يا بدرية ؟

ولم ترد عليه الفتاة ، لكن أنفاسها المتلاحقة كانت خير دليل على أنها فى كامل يقظتها . ونفذت يد جيفرى من تحت رداء نوم بدرية إلى ركبتها ، صاعدة إلى فخذها وقالت بدرية هامسة وهى تضع يدها فوق يد جيفرى لتبعدها عن جسدها : -

- مستر جيفرى . ماذا تفعل ؟

ورد جيفرى وهو يقاوم يد بدرية التى تحاول إبعاد يده ، ويميل بشفتيه نحو شفتيها :

- ألم أقل لك أنك تعجبيننى ؟

هوى بفمه . على فمها . ونجحت الفتاة فى تفادى التصاق شفتيه بشفتيها ، لكن قبلته انطبعت على رقبتها ، تحت أذنها . وشعرت بدرية بقشعريرة فى كل جسدها . ثم سحب يده من فخدها ، وقبض على ذقنها بقوة ، وأدار وجهها نحوه ، وقبلها فوق

شفتيها قبلة ضمنها كل شهوته وشبقة ، ثم رقد جسده العارى فوق جسدها . واستسلمت بدرية لقبلته ، لكنها ظلت سلبية إلى حد بعيد ، وإن زاد تلاحق أنفاسها . وشعرت من فوق رداء نومها بعضو جيفرى وقد انتصب تماماً . وعندما حاول أن يخلع عنها رداء نومها ، . قاومت وهى تقول :

- وما أخرة كل هذا يا مستر جيفرى ؟

وكان جيفرى قد فقد هدوءه وأصبح مستعداً لاستخدام القوة لكى يصل إلى غرضه . وأدركت بدرية بغريزة الأنثى ، لكنها لم تكن تريد أن يغتصبها ويضربها كما كان سيد يفعل معها . وكررت سؤالها . ورد جيفرى عليها بسرعة :

- لا تخشى شيئاً . . ستصبحين من الآن فصاعداً . . .

وقالت الفتاة وهى ترتجف خوفاً وسط شعورها بالرغبة الجنسية :

- وإذا حدث لى حمل ؟ ستكون فضيحة مدوية . .

لكن جيفرى ، الذى شعر أن بدرية قد بدأت تستسلم سألها بلهجة رقيقة :

- ألا تثقين فى ؟
- نعم . . أثق فيك . . ولكن ماذا ستفعل فى هذه الحالة ؟

ورد جيفرى بثقة :

- لقد أعددت كل شيىء . أقول لك لا تخافى . .

وكان قد نجح فى رفع رداء نوم بدرية إلى أعلى وسطها . وارتكزت الفتاة على كوعها حتى تساعده على التخلص من الرداء . لكنها كانت خائفة ، وحاولت أن تفكر فيما يجب عمله ، لكن عقلها كان قد شل تماماً أمام عجزها عن إيجاد وسيلة تنقذ بها عملها . بالأضافة إلى شعورها بالفخر لأنها استطاعت ، بدون أن تحاول ذلك ، أن تغوى جيفرى . كذلك فقد كان جسدها كله يشتهى هذه العلاقة .

وعندما أحست أن جيفرى قد ولجها ، قررت أن تحاول أن تستمتع بممارسة الجنس معه . لكن ذكرى سيد كانت تلح عليها ، وتجعلها مستسلمة أكثر مما هى مستمتعة . وبعد أن أشبع جيفرى رغبته ، لم تكن بدرية قد شعرت بأدنى قدر من الاستمتاع ، بل بالندم على أنها تركت له نفسها . وغادر جيفرى الحجرة بعد أن ارتدى ملابس نومه ، وطبع قبلة سريعة على شفتيها قائلا :

- لا بأس . . فى المرات القادمة سنأخذ الوقت الكافى ، وسترين أنك ستحبين ذلك . .

وبمجرد أن أغلق جيفرى باب الحجرة خلفه ، انفجرت بدرية فى البكاء . شعرت أنها مسلوبة الإرادة ، لم تكن فكرة إقامة علاقة مع جيفرى منفرة بالنسبة لها مثلما هو الحال مع سيد ، لكنها أحست أنها لم تكن قد قررت بعد أن تقبلها ، بل كانت لاتزال تفكر فى الأمر ، وإنما استسلمت لأن جيفرى فرض عليها ذلك ، ولم يترك لها الفرصة لأن تتقبل الأمر برضائها الكامل . وعندما داهمها النعاس بعد فترة شعرت وكأنها دهر ، كانتآثار الدموع ما تزال فى مقلتيها .

وتواصلت زيارات جيفرى الليلة لفراش بدرية ، لكنها لم تكن منتظمة ، فتارة يزورها ليلتين متتاليتين ، وتارة أخرى يمر أسبوع بدون أن يحضر . واعتادت بدرية هذه الزيارات ، وكانت تشعر بالرضى ، ليس فقط بسبب الاستمتاع الجنسى الذى لم تشعر بمثله مع سيد ، بل لأنها أدركت أنها تستطيع ، وهى الفتاة البسيطة ، أن تشبع رجلاً وسيماً مجرباً مثل جيفرى . وكان هو يقدم لها من حين لآخر هدية بسيطة . وقد حاول أول الأمر أن يعطيها نقوداً ، لكنها رفضت ذلك بإصرار ، وقالت له إنها ستطلب منه بنفسها إذا ما احتاجت لشراء شىء . ويومها ربت جيفرى على كتفها ، وقبلها على شفتيها مبتسماً ، ولم يعلق .

كانت قد قررت أن تستمتع بهذه العلاقة التى فرضت عليها . غير أنها كانت دائما ما تخشى أن تدخل عليهم مارلين فجأة ، فتفقد كل شىء لكن بمضى المدة بدأت تشعر ببعض الطمأنينة إذ يبدو أن نوم السيدة الأمريكية كان عميقا .

وبعد مضى بضعة شهور ، لاحظت بدرية أن عادتها الشهرية تأخرت عن موعدها ، وشعرت بقلق شديد وأخبرت جيفرى بذلك عندما جاء إلى حجرتها بعد يومين .

لكن جيفرى لم يقلق وطلب منها ان تنتظر بضعة أيام أخر حتى تتأكد أنها حامل وعندما أصبح الأمر لا شك فيه طمأنها جيفرى وقال لها إنه سيتصرف ، وعليها أن تثق فيه . وقد خفت حدة قلقها أمام هدوء جيفرى ، فقد كانت واثقة أنه لا يمكن أن يكون على هذا القدر من الهدوء وهو يعلم أن الفضيحة على وشك الإنفجار إلا وهو يعلم أنه سيجد لها حلاً . كانت فى بعض لحظات الشك فى الرجل ، تخشى أن يفتعل سبباً لطردها من الخدمة والتخلى عنها ، لكنه لم يفعل .

وذات صباح ، وبينما هى تعمل فى تنظيف المنزل بعد انصراف أفراد الأسرة بأقل من ساعة واحدة ، فتح الباب الخارجى ، ودخل جيفرى مبتسماً ، وطلب منها أن

تبدل ملابسها بسرعة لتصحبه . وعندما سألته إلى أين سيذهبان ، طلب منها ألا توجه له الأسئلة ، وأن تسارع بارتداء ملابسها .

ركبت السيارة بجوار الرجل وهى تسأله عن وجهتها . وابتسم جيفرى قائلاً لها :

- بدرية .. أنت تدركين طبعاً أن حملك مشكلة ليس بالنسبة لك وحدك ، وإنما لى أنا أيضاً ، وستكون فضيحة لكلينا . لذلك ، فالتخلص من الجنين أمر لابد .. نحن ذاهبان الآن إلى صديق لى ، وهو طبيب أمراض نساء شهير ، وسيخلصنا من هذه المشكلة .

وصاحت بدرية :

- أتريد منى أن أتخلص من ضناى ؟

وسألها جيفرى بهدوء عن معنى هذه الكلمة ، ولما شرحتها له قال :

- نعم .. هل عندك حل آخر ؟

وردت بدرية بلهجة متحدية :

- نعم .. تتزوجنى

لم يلتفت جيفرى نحوها ، فقد كان ينظر للطريق ، لكنه قال بفتور :

- لكنك تعلمين أننى متزوج ، وتعدد الزوجات عندنا فى أمريكا جريمة يعاقب عليها القانون ..

وقالت بدرية

بدهشة :

- ولكننا لسنا فى أمريكا ..
- لكننى أمريكى الجنسية ، وقانون بلدى يطبق على فى أى مكان أكون فيه .

فقال بلهجة تحمل تحدياً واضحاً .

- تشهر إسلامك وتتزوجنى ..

وأضافت بعد لحظات فى تردد وفى صوت منخفض

– ولو سراً ..

لم يرد جيفرى عليها فوراً ، وإنما رفع يده اليمنى عن عجلة القيادة وربت بها على يدها التى كانت على حجرها وقال :

- لقد فكرت فى ذلك فعلاً . بل لقد فكرت أن أطلق مارلين وأتزوجك أنت ، فلعلك تلاحظين أننى ومارلين لسنا متفاهمين تماماً . فهى عنيدة ، متسلطة ، تنفذ ما تراه هى صحيحاً ولا تقيم وزناً لرأيى أنا . وقد سئمت ذلك . لكن المشكلة اننى لو فعلت ذلك ، فربما فقدت وظيفتى ، فإنها لابد ستلجأ إلى السفارة لتقديم شكوى ضدى . لذلك فإننى سأنتهز فرصة وجودنا سوياً فى الأجازة القادمة بالولايات المتحدة وأتفق معها على الطلاق فى هدوء . وعندئذ سأعود لأتزوجك ..

لم تصدق بدرية أذنيها . هل حقاً ينوى جيفرى أن يتزوجها ؟ هل ستطبخ يوماً ما زوجة موظف أمريكى كبير ؟ لقد لاحظت بالفعل أن علاقة جيفرى ومارلين فاترة ، وأن مارلين كثيراً ما توجه الأوامر لزوجها بطريقة فظة ، ولكنها كانت تقول بينها وبين نفسها إنهما أمريكيان ، وربما كانت هذه هى طبائع الأمريكيين . لكنها قالت مع ذلك جيفرى :

- لكنك يجب أن تشهر إسلامك قبل أن تتزوجنى .

وضحك جيفرى ، فقد أدرك أنه نجح فى إقناعها بالتخلص من الجنين بأسرع وأبسط مما كان يتصور ، وقال لها :

- بالطبع . فأنا أكن تقديراً كبيرا للإسلام الذى قرأت فيه كثيراً واقتنعت بمعظم ما جاء به .

وعندما اطمأنت بدرية من هذه الجهة ، عادت تفكر فيما هي مقدمة عليه ، وسألت جيفرى :

- لكن .. أليست عملية التخلص من الجنين خطرة بالنسبة لى ؟

وحاول جيفرى أن يكون مقنعاً بأقصى ما يستطيع :

- وهل كنت أقترح عليك لو كان فى العملية أى خطر على صحتك ؟ لا تنسى أننى سأتزوجك ، وأننا سننجب أطفالا بقدر ما تريدين . إن الطبيب الذى سيقوم بالعملية طبيب كبير ولا يقوم بعملية إلا وهو واثق تماماً من نجاحها .

وكانت بدرية قد عملت منذ عامين عن طبيب مصري ، وقالت إن القدر قد يوقعها فيه ، وقد يبلغ سيد ، وتكون الطامة الكبرى . لذلك سألت جيفرى .

هل هو مصرى ؟

وابتسم جيفرى قائلاً :

- ومن أين لى أن أعرف طبيباً مصريا ؟ اطمئنى .. فهو أمريكى .

وعلى الرغم من أن ذلك أراح بدرية فعلاً ، إلا أنه فى الوقت ذاته جعلها تفكر فى أمر التخلص من الجنين . صحيح أنها لا تشعر بأى مظهر من مظاهر الحمل ، باستثناء تأخر العادة الشهرية ، وكان القلق من الفضيحة قد شغلها من قبل عن التفكير فى أى شىء آخر ، إلا أنها الآن ، وبعد أن أدركت أن الفضيحة قد تم تداركها ، وأن الطبيب الذى سيجرى لها العملية أمريكى ، أى أنه لا يمكن أن يخطئ ، فقد بدأت تشعر بالذنب ، فهى تعلم أن الإجهاض حرام فى الإسلام . كما أنها شعرت فجأة بعاطفة الأمومة التى لم يتح لها أن تشعر بها من قبل .

وترددت . هل تقول لجيفرى ذلك ؟ وأخيراً حزمت أمرها وقالت :

- لكن الإجهاض فى الإسلام حرام ..

وشعر جيفرى بالغيظ منها فقال فى برود

- وعلاقتنا .. ألا تعد حراماً هى الأخرى ؟ لكننا سنتزوج فيما بعد ، ويصبح الحرام حلالاً ، وسننجب أطفالاً كثيرين ، وسيغفر الله لنا ما سنفعله اليوم . أليس الله غفور رحيم ؟

وهزت بدرية رأسها بالإيجاب ، وقالت لنفسها " ليغفر لى الله ذلك ، ولكن للضرورة أحكام " .

عندما عادت مارلين إلى المنزل بصحبة آندرو ، وجدت بدرية راقدة فى سريرها . وعندما سألتها عما بها ، أجابتها الفتاة – كما كان جيفرى قد أوصاها – بأنها شعرت بآلام فى البطن جعلتها غير قادرة على العمل اليوم ، لكن هذه الآلام تخف بالتدريج ، وأنها ستكون على خير ما يرام بعد أن تنام قليلا . وسألتها مارلين إذا لم يكن من الأفضل أن تستدعى لها طبيبا ، لكن بدرية ردت قائلة إن ذلك ليس ضروريا لأن حالتها تتحسن باطراد ، وإنها إذا لم تشعر بأنها شفيت تماما عند حلول المساء ، فربما ذهبت لعيادة أحد الأطباء فى الحى ، بدلا من استدعائه إلى المنزل . وأكدت لها مارلين إنها ستطلب من جيفرى أن يصحبها للطبيب فى هذه الحالة . ووضعت مارلين يدها على جبهة بدرية ، وشعرت ببعض الطمأنينة عندما لم تجد درجة حرارة الفتاة مرتفعة .

ولم تكن مارلين ساخطة لأن بدرية لم تكمل تنظيف المنزل ذلك الصباح ، فهى كانت قد قررت عندما بدأت الفتاة العمل عندهم ، أن تعطيها يوم أجازة أسبوعيا . وقد أدهشها أشد الدهشة رفض بدرية لهذا الاقتراح . وعندما حاولت الإصرار ، أجابتها الفتاة إنها تشعر بعدم الراحة فى منزلها ، وأنها ستكد فى يوم الأجازة أكثر كثيرا مما تعمل فى منزل الأمريكيين ولن تستريح كما تود مارلين لها . وقبلت مارلين الأمر ، لكنها كانت تحاول أن تريحها بأكبر قدر من الراحة مرة فى الأسبوع على الأقل . كما كانت تصر على أن تصحبهم بدرية عندما يخرجون للنزهة فى أيام العطلات .

وعندما حاولت بدرية القيام لإعداد مادة الغداء ، أصرت مارلين على بقائها فى سريرها بقية اليوم .

وعندما وصل جيفرى بعد قليل ، عاد بدرية حجرة نومها للاطمئنان عليها تصحبه مارلين . وأكدت لهما بدرية أنها أصبحت الآن فى أحسن حال ، لكنهما أصرا على أن تبقى فى سريرها ، بل وقالت لها مارلين إنها ستحضر لها طعام غدائها لتتناوله فى حجرتها . وقال جيفرى ضاحكا :

- وهكذا تصبحين مثل أميرات القرون الوسطى اللاتى كن يأكلن فى حجرات نومهن عندنا لم يكن أحد مدعوا لتناول الطعام عندهم .

ولم تفهم بدرية ما قاله جيفرى ، لكنها تصورت أنه يتعمد إهانتها ، وشعرت بطعنة فى كرامتها ، وقررت أن تحاسبه على ذلك فيما بعد .

وقبيل الغروب ، خرجت بدرية من حجرة نومها . وعلى الرغم من احتجاج مارلين ، إلا أنها اصرت على عدم العودة إلى سريرها . واشترطت عليها الأمريكية ألا تعمل ، وإنما تشاهد التليفزيون إذا ارادت . وهكذا أمضت بدرية مساء ذلك اليوم فيما بين مشاهدة التليفزيون واللعب مع الصغير آندرو .

وزارها جيفرى خلال الليل لكى يطمئن عليها ، وطيب خاطرها برقة . وقد ظن ، عندما رأى أن استجابتها لمواساته فاترة ، أنها نادمة على أنها تخلصت من الجنين ، إلا أنها أخبرته بجفاء أنه أهانها عندما اقترحت زوجته أن تحضر لها طعام غدائها فى السرير ، فانفجر ضاحكا ، وحاول أن يشرح لها ما قصده . وعلى الرغم من أنها لم تفهم بالضبط شرحه ، إلا أنها أحست أنها استعادت كرامتها ، بل وشعرت بالغبطة لأن الأمريكى يعتذر لها ، على الرغم من أنها هى التى أساءت فهم مقصده . وبعد أن قبلها جيفرى متمنيا لها نوما هادئاً ، مضى إلى حجرة نومه .

وفى اليوم التالى قامت بدرية كعادتها ، واستأنفت نشاطها اليومى .

وكان جيفرى فى الأيام التالية يمر عليها كل ليلة تقريبا ، ويعاملها بحنو ورقة جعلاها تطرد نهائيا ما كان يمر برأسها أحيانا من خواطر . فقد كانت تسائل نفسها عما إذا لم يكن جيفرى يعاملها برقة حتى تزول كل أثار العملية ، ثم يطردها من خدمته ؟ ألم يتبادل حديثا طويلا مع الطبيب لم تفهم منه شيئا ، وعندما سألته عما قاله الرجل أجابها إنه مرتاح لنتيجة العملية ، وأنها ستصبح على خير ما يرام خلال أيام ؟ وعندما أصرت علي معرفة المزيد قائلة إنه لا يمكن أن يكون كل هذا الحديث الطويل لكى يقول له هاتين العبارتين ، أجابها قائلا إن الرجل طلب منه أن يوقف علاقته الجنسية بها لمدة ثلاثة أسابيع على الأقل ، وأضاف ضاحكا :

- لا بأس ..سنتحمل هذه الأسابيع الثلاثة حفاظا على صحتك .

لكنها لم تصدقه تماما ، فقد كانت دائما ما تتخيل أن علاقته بها مجرد تسلية ، وأنه لن يلبث أن يملها ، إذ كيف يمكن لأمريكى ووسيم فى الوقت ذاته ، أن يتعلق بفتاة مثلها ؟ لكن زياراته شبه المنتظمة لكى يطمئنها ، وهى تعلم أنه لا يتوقع أن يضاجعها ، جعلت وساوسها تذوى بالتدريج ، وكثيرا ما كانت تقول لنفسها ، سواء وهى تعمل فى المنزل أو وهى مستلقية فى سريرها تنتظر أن يداهمها النوم ، لماذا لا يتعلق رجل مثله بها ؟ أليست جميلة ؟ وألا تمارس الجنس معه بصورة تشبعه ؟ لقد حكى لها مرة أن مارلين تمارس معه الجنس وكأنه واجب وليس باستمتاع حقيقى . وفسر لها ذلك بكلام لم تفهمه جيداً، قائلا إن أباها قس ، وأنه يرى أن الهدف من الجنس هو الإنجاب فقط وليس الاستمتاع ، وأن الشعور بالاستمتاع تحرمه المسيحية ، وأن زوجته اقتنعت بكلام أبيها . وقال لها إن الرجل يشعر بالمهانة إذا أحس أنه لا يشبع من يعاشرها جنسياً . هى تذكر كلماته ، وإن لم تفهم كل لفظ فيها ، وإنما أدركت معناها العام .

وفى الليلة المتممة للأسابيع الثلاثة ، التى أخذت بدرية تعدها يوما بعد يوم ، جاءها جيفرى مبتسماً وقال لها وهو يخلع ملابسه :

- لقد انقضت الفترة التى نصحنا الطبيب بالامتناع عن الجنس خلالها ، وسنعود للاستمتاع مرة أخرى ..

ثم تمدد إلى جانبها وأخذ يساعدها فى التخلص من ثيابها .

٨**********

وعلى الرغم من أن جيفرى أخذ يحتاط حتى لا تحمل بدرية مرة أخرى ، وذلك بأن يعاشرها خلال الفترة التى لا تكون فيها قابلة للحمل – كما علمه الطبيب – إلاأن بدرية أخبرته يوما وهى تبكى ، وأنها تشك فى أنها حامل مرة أخرى . ولم ينتظر جيفرى طويلا ، وأخذها لنفس الطبيب بعد يومين . وأكد الرجل أنها حبلى ، وأنه سيجرى لها عملية إجهاض أخرى . لكن وجهه الصارم أقلق بدرية ، وألحت على جيفرى أن يسأل إذا كانت العملية الجديدة تنطوى على خطر ما . وهز الطبيب كتفيه قائلاإن تكرار عمليات الإجهاض كثيرآ يحمل بعض المخاطر بكل تأكيد ، ولكن ليس من المرة الثانية ، ونصح جيفرى أن يتخذ احتياطات جادة ، عدد له اثنان منها . وكان جيفرى قلقآ ، فهو لا يريد مشاكل ، ولكنه فى الوقت ذاته لا يريد قطع علاقته ببدرية . فهى تنام فى منزله ، ولا يبذل أية مشقة فى الوصول إليها .ثم أنها فتاة نظيفة جداً ، لا يخشى على صحته منها . كذلك ، فأين يجد لها بديلة إذا ما هجرها ؟ الأمريكيات اللاتى يعرفهن معظمهن متزوجات بمن هم أفضل منه . لقد حاول أن يمازح بعضهن لكنه لم يشعر برغبة أى منهن فى الاستجابة له . أما المصريات اللاتى تعملن فى البنك معه ، فقد أصبح يخشاهن بعد ما حدث له فى أول عهده بالعمل فى القاهرة . بدرية هى إذن الحل المثالى لمشكلته الجنسية ، بل ربما هى الحل الوحيد . كذلك فقد اقترب موعد سفر مارلين بعد انتهاء العام الدراسى ، وهو يمنى نفسه بأيام رائعة مع بدرية بعد سفر زوجته .

وحدث مثلما حدث فى المرة الأولى . لم تشر بدرية بأى ألم ، وتلاشى أثر البنج الذى حقنها به الطبيب بعد نحو ربع الساعة من انتهاء العملية . واستراحت فى غرفة بعيادة الطبيب حوالى ساعة واحدة ، ثم عادت فى سيارة جيفرى إلى المنزل ، حيث لزمت الفراش بقية اليوم .

وبعد مضى الأسابيع الثلاثة ، اتخذ جيفرى أنجح وسيلة قال له عنها الطبيب حتى لا يتكرر حمل بدرية كانت هذه الوسيلة تمنعه من الاستمتاع الكامل بالعملية الجنسية ، لكن هذا كان أفضل من أن يحدث ما حدث من قبل . ووجد تعويضآ عن ذلك فى اكتشاف جسد بدرية بتفصيلات كانت تغيب عنه عندما كانت علاقتهما بلا عوائق . ومضت الأيام على هذا المنوال حتى حل موعد سفر مارلين وآندرو إلى هيوستن . وصحبهما جيفرى إلى المطار حتى تأكد من قيام الطائرة فى موعدها .

وعندما عاد إلى المنزل ، فتح باب الشقة ، فوجد بدرية قد ارتدت أجمل ثيابها ، وتزينت له . ففتح ذراعيه ، وارتمت بدرية فى أحضانه .

وأصر جيفرى ، على الرغم من إحجام بدرية على أن تنام الفتاة معه فى سريره . واضطرت للقبول وهى تشعر بالرهبة . لكنها فى قرارة نفسها كانت سعيدة ، إذ

شعرت أنها زوجة جيفرى بالفعل ، وأنها حلت – من الآن فصاعدا – محل مارلين . ألم يعدها جيفرى أن يحدث زوجته فى أمر طلاقهما عندما يلحق بها فى هيوستن ؟ ومن يدرى ، ألا يمكن ألا تعود مارلين من أمريكا أبدا ، وتحتل هى سريرها شرعآ ؟

وقضينا أياما هانئة سويا . وأخذت تعد لجيفرى أطباقآ مصرية كانت تجيدها ، وكان هو يبدى رضاءه التام بما تعده له . وكانا يمارسان الجنس فى أى وقت يعن لهما بعد عودة جيفرى من عمله ، وفى أى مكان بالمنزل . كانت بدرية تكاد تطير من السعادة ، فقد كانت تشعر أنها ربة المنزل بالفعل .

وعندما جاء سيد فى أول الشهر لكى يأخذ الجزء الأكبر من مرتبها كما هى عادته ، وعلم بسفر مارلين ، حاول أن يقنع بدرية أن بقاءها فى المنزل وحدها مع رجل يعرضها للقيل والقال ، قالت له بثقة إنها لا تأبه بكلام الناس ، وأن جيفرى خواجة ليس مثل المصريين ، وأنه يعاملها بكل احترام وأدب . وعندما علم جيفرى بما قاله سيد ، خاطبه بتعال قائلا إنه يحتاج بدرية وهو وحده بالمنزل أكثر من احتياجه لها وزوجته فى القاهرة ، وقال له لا يريد أن يسمع مثل هذا الحديث مرة أخرى . وقال له سيد فى خنوع : سمعا وطاعة .

وانتهزت بدرية الفرصة ،فقالت لزوج أمها أمام الأمريكى إن جيفرى طلب منها أن تبقى بالمنزل لتحرسه وتحتفظ به نظيفآ لحين عودته من أمريكا . وعلى الرغم من أن جيفرى لم يكن قد طلب منها ذلك ، فقد أدهشته المفاجأة ، فلم يفه بحرف واحد . وقال سيد :

- كل ما يراه الخواجة سينفذ ..

وبمجرد رحيل سيد ، ارتمت بدرية فى أحضان جيفرى لكنه – بعد أن ضمها وهو شارد –دفعها برقة ، وسألها

–لماذا قلت لزوج أمك أننى طلبت منك البقاء فى المنزل أثناء غيابى ؟

وأخذت بدرية تعبث بزر قميصه ، ورأسها على صدره وقالت فى دلال :

- أليست هذه رغبتك ؟ ألم أصبح زوجتك تقريبآ ؟

وأخذ جيفرى يفكر بسرعة . ماذا يقول لهذه الفتاة ؟ لقد وعدها بالفعل أن يخاطب مارلين فى أمر طلاقهما بمجرد وصوله إلى هيوستن . لكنه كان يريد أن يمهد لها

فكرة أن مارلين ربما ترفض فكرة الطلاق ، وأنها ربما عادت للقاهرة بعد انتهاء الإجازة . وحزم أمره قائلا :

- لكننى لم أستشعر مارلين فى أمر بقائك وحدك فى المنزل ، وربما غضبت لذلك ..

وابتعدت بدرية عن صدره ، وقد انقبض صدرها ، وتملكها غضب وخوف فى آن واحد ، وقالت وهى تحاول كتم انفعالاتها :

- لكنك وعدتنى أن تطلق مارلين وتتزوجنى ..

وأراد جيفرى أن يتجنب العاصفة ، لكنه كان يريد فى الوقت نفسه أن يسيطر على الموقف ، بأن يجعل بدرية فى حالة من القلق وعدم الثقة المطلقة ، فأمسك بذقنها وقال :

- بدرية واضح أنك تفسرين الأمور كما يحلو لك . لقد وعدتك أن أخاطب مارلين فى أمر طلاقنا . ولا أستطيع أن أعرف رد فعلها ، فقد ترفض ذلك ..
- ولماذا لا تطلقها بالرغم من ذلك ؟

وانفجرجيفرى ضاحكا لسذاجة الفتاة . وازداد غضبها وقالت فى انفعال :

- ما الذى يضحك ؟

وسحبها جيفرى من يدها ، وجلس على كنبة ، وجذبها فأجلسها إلى جواره ، وقال لها بعد أن لفت ذراعه حول كتفها :

– فى بلدنا لا يمكن للرجل أن يطلق امرأته بدون رضاها . يجب أن يتم الطلاق بتراضى الطرفين . وحتى فى هذه الحالة ، فإن إجراءته طويلة ومعقدة ..

وشعرت بدرية باليأس يستولى عليها ، ولم تدرهل تصدقه ؟ أيمكن أن يكون ما يقوله صحيحآ ؟ أليس من حق الرجل الأمريكى أن يطلق زوجته بدون أن يسألها رأيها ؟ وأحست بالدموع تتجمع فى مآقيها . وهمت أن تواجهه بشكها فى صدقة ، لكنها تداركت نفسها فى اللحظة الأخيرة ، وقالت بصوت منخفض :

- لا أمل البتة فى هذهالحالة ، فمارلين لا يمكن أن توافق على الطلاق ..

ونظر إليها جيفرى طويلآ قبل أن يقول :

- لماذا تقولين ذلك ؟

وانهمرت دمعتان على خدى بدرية ، وقالت وهى تكتم البكاء .

- - كيف توافق على أن تترك رجلاً مثلك ؟

وابتسم جيفرى لهذه الكلمات التى يشعر بقدره عند بدرية ، وقال :

- إن مارلين لم تعد تحبنى كما كان الأمر عندما تزوجنا ، وهناك احتمال كبير أن تقبل الطلاق وعاد الأمل يراود بدرية ، وتوقفت دموعها وسألته :
- كيف عرفت ذلك ؟ هل قالته لك ؟
- لا لم تقله صراحة ، ولكن تصرفاتها تدل على ذلك .

وأرادت بدرية أن تشعر بطمأنينة أكبر

- لكنها مع هذا قد ترفض الطلاق ، فأنى لها برجل مثلك ؟

وابتسم جيفرى مرة أخرى وقال :

- يمكنها أن تجد كثيرين غيرى . وعلى أيه حال ، فإن كرامتها لن تسمح لها بالبقاء معى إذا عرفت برغبتى فى الطلاق ..

لم تفهم بدرية تماما ما يقوله جيفرى . فهى ترى أن " ظل رجل ولا ظل حائط " ، وأن الزوجة لا تقبل الطلاق من زوجها عادة إلا مرغمة . ومع ذلك فإنه من المحتمل أن تكون الأمور فى أمريكا غيرها فى مصر . وأخذ بعض الأمل يراودها فقالت .

- إذن أنت تظن أنها من الممكن أن تقبل الطلاق

وأجاب جيفرى فى مرح مصطنع :

- بالطبع . والآن قومى لتجهزى لنا طعام الغداء فأنا أكاد أقع من الجوع ..

وانتفضت بدرية واقفة وقالت :

- من عينى ..

ومضت إلى المطبخ ، لكن عقلها كان مشغولا بالتفكير فى الاحتمالات الممكنة التى كانت تنقلها من الأمل إلى اليأس بسرعة كبيرة .

عندما سافر جيفرى ليقضى إجازته السنوية فى بلده ، اضطرت بدرية لقضاء هذه الفترة فى منزل أسرتها . لكن وضعها الجديد ، بوصفها المصدر الأساسى الثابت لدخل الأسرة ، أصبح متميزا وقد فطنت من أول لحظة دخولها المنزل . إلى أن

الجميع يعاملونها بطريقة مختلفة عما مضى . وعندما حاول سيد أن يعاملها كالسابق ، فينهرها لكل صغيرة وكبيرة ، واجهته بحزم . وفوجىء الرجل بابنة زوجته وقد اكتسبت ثقة كبيرة فى نفسها ، فخشى أن يفقد سيطرته على الأسرة إذا هو أصر على معاملتها كما كان يفعل فى السابق بينما هى تتحداه وفضل أن يغير أسلوبه معها .

كانت أمها تخصص لها أفضل مكان لتنام فيه قائلة وهى تضحك :

- لقد اعتدت على النوم فى سرير ، لذلك يجب أن تشعرى بالراحة هنا لكى تدركى أننا لسنا أقل من الخواجات ..

لكن بدرية كانت تتصنع الشكوى ، وتقول فى غضب مفتعل :

- لم أستطيع النوم طول الليل فظهرى ، بل وعظام جسمى كلها ، أصبحت تؤلمنى من النوم على الحصيرة .

ويصمت الجميع ، ولسان حالهم يقول " طبعا ، نسيت النوم على الحصيرة يا بنت سندس ، وأصبحت لا تستطيعين النوم إلا على السرير .."

كما كانت أمها تختصها بأفضل الطعام ، وتبرر ذلك بأن كل ما على المائدة " من فضلة خيرها " ولم تكن مثل هذه الكلمات لترضى سيد ، لكنه كان يكتم غيظه ولايقول شيئآ .

كذلك كان اخواتها ، وبصفة خاصة أختها بتعة ، بل وكل سكان الحى الذى يقطنونه ، ينظرون بنوع من الحسد إلى ملابسها الجديدة ، التى كانت لا تمت بصلة إلى ما كانوا يرتدونه ، كانت مارلين قد أعطتها عددا من ملابسها القديمة ، لكنها ، على الرغم من ذلك ، كانت تبدو لهم وكأنها اشترت لتوها من أفضل محال الملابس . والحق أن بدرية كانت تعنى بهذه الملابس عناية كبيرة ، وتنظفها وتكويها بانتظام ، لكى تبدو متألقة .

وباتت كل تصرفات بدرية تؤكد – لمن لم يفهم ذلك – أنها أصبحت تنتمى إلى عالم غير عالمها القديم ، حتى أن سيد ، على الرغم من أن مظهرها الجديد كان يثير شهوته الجنسية ، لم يجرؤ على محاولة الانفراد بها . وكان يبرر ذلك بينه وبين نفسه بأنه يخشى أن تقطع عنهم الجانب الأكبر من مرتبها إذا ما حاول معها . لكنه فى قرارة نفسه كان يعرف أن هذا غير صحيح ، فبدرية ، على الرغم من تعاليها المصطنع . كانت حريصة على رفع مستوى الأسرة بما تيسر لها من مال . فقد أعطت أختها بتعة مثلا رداء من الأردية التى منحتها مارلين إياها ، معتذرة للفتاة

بأنها لا تستطيع إعطاها أكثر من واحد حتى لا تلاحظ الأمريكية شيئآ . كما اشترت لأمها قماشآ أسود لكى تفصل منه ثوبآ جديدآ . ولم يعرف سيد أو الأم أنها قسمت بين أخويها إبراهيم وفتحى مبلغا بسيطامن المال كان جيفرى قد منحها إياها قبل سفره .

لكنها كانت تحاول إخفاء مشاعر الحب الذى تكنه لأسرتها بتعليقاتها التى لا تخلو من نقد مستمر لتصرفات أفرادها ، وبتعاملها معهم بنوع من التعالى .

وقبل الموعد المحدد لعودة جيفرى بيوم ، توجهت إلى البنك الذى يعمل به ، وطلبت مفتاح الشقة من موظف أمريكى كان مساعدا لمخدومها . ثم توجهت إلى الشقة ، ففتحت كل نوافذها لتهويتها ، ثم نظفتها وجعلت كل ركن فيها يضوى ، وقضت ما بقى من اليوم تشاهد التلفزيون حتى موعد متأخر من الليل قبل أن تأوى إلى فراشها .

وعندما دخل جيفرى المنزل ظهر اليوم التالى ، همت بالارتماء فى أحضانه ، لكنها توقفت عندما رأت البواب يحمل حقائبه ، فرحبت به كما هو متوقع منها . وانتظرت حتى مضى البواب خارجآ ، وأغلق باب الشقة خلفه ، فاحتضنت جيفرى وهى تنظر نحو عينيه لترى فيهما إذا كان سيخبرها بنبأ طلاقة من مارلين ، لكنها لم تكن تريد توجيه السؤال بشكل مباشر. وأخذها جيفرى بين يديه وقبلها باشتياق . وسألته بعد أن أبعدت جسدهاعن جسده ، هل هو متعب ، فقال لها إن السفر كان طويلا ومرهقا ، وسألته ثانية إن كان يريد الآن أن يأخذ حماما ويرتدى ملابس مريحة . وقالت له إنها ستعد له حمامه ، وهنا لمعت عيناه وقال لها :

- وأنت .. ألا تريدين حماما ؟
- لقد أخذت حماما صباح اليوم ، هل شممت لى رائحة ضايقتك ؟

وضحك جيفرى ضحكة كبيرة ، وقال بصوت شبه هامس :

- أقصد أن نأخذ حماما سويا ..

وأدركت بدرية هدفه ، فاحمرت وجنتاها ، لكنها هزت رأسها موافقة فى خفر وهى تسأل نفسها متى يقول لها شيئا عن مارلين .

وجذبها من يدها ، ودخلا الحمام سويا .

****

وضعت بدرية طعام الغداء لجيفرى على المائدة بينما هو يرتدى ملابسه ، كانت قد أمضت صباح اليوم فى إعداد الطعام له ، بعد أن اشترت بما تبقى لها من نقود بعض الخضروات لعمل صحن كبير من السلاطة التى كانت تعرف أنه يحبها ، كما أنها طهت له صينية مسقعة .

كان قد أعرب مرة عن إعجابه بها عندما أعدتها له قبيل سفره . وشوت له قطعتين كبيرتين من اللحم كانت قد أوصت سيد فى اليوم السابق بشرائهما من جزار يعرفه

،وأكملت كل ذلك بكمية من الأرز الذى كانت تجيد طهوه كذلك فقد وضعت الصحن الذى سيأكل فيه جيفرى فوق مفرش السفرة الذى كانت قد كوته ، وضعت السكين عن يمين الصحن والشوكة عن شماله ، وكأسا فارغا بالقرب منه . كانت قد تعلمت من مارلين كيف تصف المائدة ، وحرصت على ألا تنسى شيئآ .

وعندما خرج جيفرى من حجرة نومه ودخل حجرة المائدة ، أطلق صفيرا وهو يبتسم وقال لها :

- أتظنين أننى سآكل كل هذا ؟

وابتسمت بدرية وقالت وهى تشعر بالفخر لما عدته إطراء لها :

- كل ما تريد واترك الباقى ..

واتخذ جيفرى مكانه على كرسيه ، وقد لاحظ برضى أن بدرية لم تعد مكانا لنفسها قبل أن يدعوها لذلك ، فقال لها وهو يتصنع الدهشة :

- هل تناولت طعام غدائك قبل وصولى ؟

وأطرقت بدرية قائلة :

- لا .. سأكل بعد أن تنتهى أنت من تناول طعامك .

وضحك جيفرى قائلا :

- لا.. ستأكلين معى . هيا .. أعدى لك مكانا هنا ، أمامى .

وشعرت بدرية بفرحة غامرة وهى تسرع إلى المطبخ لتحضر لنفسها لوازم إعداد مكانها قائلة :

- أمرك .. هل تريد ماء أم كوكاكولا ؟
- أحضرى زجاجة من كل منهما .

كانت بدرية تتمنى أن يفاتحها جيفرى فى أمر طلاقه من مارلين . لكنه كان يعلق على الطعام ، ويعبر عن استحسانه إياه . وكانت الفتاة ، عندما اصطحبها إلى الحمام ، تتوقع أن يفاجئها بالنبأ الذى كانت تنتظره بفارغ الصبر . وعندما لم يفعل ، بدأت الظنون تساورها ، ولكنها قالت لنفسها إنه فى شدة الشوق إليها ، فأهمل ذلك حتى يجلسا على مائدة الطعام . ولكن ها هو ذا يطرى طعامها ، ويبالغ فى الإطراء . واستبد بها قلق شديد ، وتساءلت ، هل تفاتحه فى الموضوع ؟ ووصلت إلى قرار هو ألا تفاتحه فيه قبل أن ينتهى من تناول طعامه . وقال لها جيفرى فجأة :

- لماذا لا تأكلين ؟ إن الطعام طيب جدا

كان يعلم ما تنتظره منه ، لكنه كان يريد تأجيل لحظة المواجهة لأبعد أجل ممكن ، لا خوفا منها ، وإنما لأنه كان يريد أن يستمتع بطعامه . وأطرقت بدرية وهى تقول :

- أنا آكل ..

وضحك جيفرى ضحكة مجلجلة ، ثم صمت قليلا قبل أن يقول :

- أنت تأكلين قدر أكل العصافير . لابد أن تأكلى جيدآ ، فأنت ترهقين نفسك فى العمل ..

وعلى الرغم من قرارها السابق ، فقد وجدت بدرية نفسها تقول له تحاول السيطرة على مشاعرها :

- ماذا فعلت مع مارلين ؟

وضع جيفرى شوكته وسكينه فى صحنه فى هدوء شديد ، ومد يده إلى الكوب الملىء بالكوكاكولا ، واحتسى منه رشفه طويلة قبل أن يضعه مكانه . وكان قلب بدرية يدق بعنف .

- بدرية .. استمعى إلى .. أنا لم أفاتح مارلين فى أمر طلاقنا ..

وشعرت بدرية أن قلبها كاد أن يتوقف عن الخفقان ، واتسعت عيناها وهى تحدق فيه ، ولم تستطيع أن تنطق بحرف واحد ، فاستطرد هو قائلا :

- حاولى أن تفهمينى . عندما وصلت إلى هيوستن . اكتشف أن مارلين كانت قد حكت لجميع أفراد أسرتها ولكل الأصدقاء كيف أحبت مصر ، وكيف

تشعر فيها بالسعادة ، فلم أستطيع أن أقول لها إنها لن تعود إلى مصر . أشفقت عليها من الصدمة..

وقاطعته بدرية فى صوت متهدج :

- وأنا .. ألاتشفق على ؟

وابتسم جيفرى ، ومد يده عبر المائدة ، فربت على يدها التى كانت مستسلمة فوقها وقال لها بصوت معسول :

- كيف أشفق عليك وأنت ستصبحين زوجتى ..

ومرة أخرى قاطعته بدرية فى عصبية متزايدة :

- ومتى يتم ذلك ؟ لقد بدأت أشك أنك تخدعنى ، وأنك لا تنوى تتزوجنى أبدا .تقول لى كلاما جميلا ، لكنك لا تفعل أى شىء لكى ما تعدنى به لقد ..

وقاطعها جيفرى بدوره وهو لا يزال يربت على يدها :

- بدرية ..كونى عاقلة .. ألا تثقين بى ؟

وبدأت الدموع تتزاحم فى مآقيها ، وهى تحاول ألا تنهمر ، وقالت :

- كنت أثق دائماً فيما تقوله لى .. لكننى الأن بدأت أشك .
- أرجوك لا تشكى فيما وعدتك به . كل ما فى الأمر أننى أجلت ذلك بعض الوقت ..
- إلى متى ؟ هل أنتظر كذلك سنوات وسنوات ؟ لقد حملت منك مرتين وأرغمتنى أن أتخلص من حملى على أمل أن نتزوج قريباً ، وها أنت ذا تؤجل الزواج إلى ما شاء الله..

وقطب جيفرى حاجباه ، وسحب يده من فوق يدها . وقال بهدوء غريب :

- بدرية ..أنا لم أرغمك على شىء ..

وشعرت بدرية أنها تجاوزت ما كانت تود أن تقوله ، وخشيت أن ينتهز جيفرى هذه الفرصة لكى يتنصل من وعده ، فتراجعت قائلة ودموعها تتساقط :

- جيفرى لقد أحببتك ، وفعلت برضائى كل شىء من أجلك ، كل ما أريده هو أن تنجز وعدك لى ..

وقام جيفرى ببطء من كرسيه ، فهبت بدرية واقفة بدورها ، وقال :

- سأنجز وعدى لك ، لكننى لا أحب المواقف الدرامية ، ومثل هذه المواقف هى التى تجعلنى أشعر بالملل من الحياة مع مارلين ، فلا تجعلينى أندم على وعدى لك .

وعاود الأمل بدرية ، فقالت وسط دموعها :

- حاضر .. لن أضايقك بمثل هذا الحديث بعد الآن ، لكنى أستحلفك بالله ألا تتخلى عنى .

وقال جيفرى وهو يتجه إلى حجرة نومه :

- لا تخشى شيئآ ، وثقى بى ..

ولم يفت بدرية بالطبع أن جيفرى لم يطلب منها أن تدخل معه إلى حجرته ، فعاودتها المخاوف من أن تكون قد تجاوزت حدودها معه ، ومن أن يتخذ ذلك ذريعة للتنصل من وعوده ولقطع علاقته بها .

لاحظت بدرية فى الأيام التالية أن جيفرى يعاملها بشيء من التحفظ وإن ظل مهذبا ورقيقا . وحاولت قصارى جهدها أن ترضيه ، سواء بطهى الأطباق التى يحبها ، أو بترتيب المنزل وبنظافته ، أو عندما تشاطره السرير ، كما حرصت على ألا تثير موضوع الزواج مرة أخرى .

أما جيفرى ، فقد كان يضحك فى سريرته إذ يرى المجهود الذى تبذله بدرية لإرضائه . وكان يقول لنفسه إن الفتاة على قدر من الذكاء الأنثوى ، فقد أدركت مغزى تحفظه ، وتحاول الآن أن تشعره بأهمية وجودها فى حياته . وكان ذلك يرضى غروره كرجل . وأخذ يتساءل ، أليس الرجل الشرقى محظوظآ ؟ وهل لم يكن من الأفضل لراحة باله أن تكون له زوجة مثل بدرية – ولكن بحد أدنى من الثقافة – بدلا من مارلين ، التى تجادله فى كل كبيرة وصغيرة ، وتصر على أن يعاملها معاملة الند للند ؟

وعندما وصلت مارلين مع آندرو بعد أسبوعين ، رحبت بهما بدرية ترحيبا أدهش جيفرى . فقد كان يظن أن الفتاة التى كانت تتوقع – كما كان قد أفهمها – أن يطلق زوجته فى أمريكا ، ستستقبل مارلين ببرود . وقد ارتاح لتصرف الفتاة لأنه أدرك أنها استسلمت – ولو مؤقتآ – للوضع الحالى .

وقد أعرب آندرو هو الآخر عن سعادته لرؤية بدرية ، وقدم لها هدية قال لها إنه أحضرها خصيصآ لها .

والواقع أن أمه هى التى اختارت له السترة التى قدمها لها . وأهدتها مارلين بدورها رداء جديدا كهدية منها . وقد شعرت بدرية بسعادة حقيقية للهديتين ، بل وأحست بوخز الضمير تجاه مارلين . لكنها ، عندما استلقت على سريرها فى تلك الليلة ، قالت أنها ليست السبب فى سوء العلاقة بين الزوجين ، وإن جيفرى على حق فى رغبته فى تطليق مارلين . فتصرفاتها معه هى السبب فى شعوره نحوها .

وتذكرت كيف تخدم أمها سيد ، وكيف لا تستطيع عصيان أى أمر يصدر لها ، بل وكيف تؤنب أبناءها إذا جرؤ أحدهم على عدم طاعته . واستغرقت فى النوم وهى تتساءل هل كل الأمريكيات مثل مارلين ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، كيف يتحملهم رجالهم ؟

وعادت الأيام تمضى على وتيرتها السابقة على سفر الأسرة إلى الولايات المتحدة . وكان جيفرى يزورها كما هى العادة فى بعض الليالى ، لكنها أبدا لم تفاتحه مرة أخرى بما كان يعصف بها من أفكار وتساؤلات عن مستقبلها معه . ومضت بضع شهور على هذا المنوال .

****

وعاد جيفرى فى أحد الأيام من عمله ووجهه مكفهر ، وقد ارتسمت عليه تقطيبة عميقة ، وأخذ يتحدث مع مارلين ، التى بدا عليها الإنزعاج إثر سماعه ، واستمرا يتجادلان طويلاً ، وبدرية تشعر بقلق كبير ، هى لم تفهم شيئاً مما كانا يقولان ، لكنها شعرت أن هناك شيئاً خطراً قد وقع . وهى متأكدة أن المشكلة ليست بين الرجل وزوجته ، فهذا واضح من طريقة تبادلهما الحديث ، لكن هيئتهما تدل على أن المسألة خطيرة . وكانت توجه نظرات التساؤل إلى جيفرى ، لكنه كان يتجاهلها . وإستمر الجو فى المنزل مكهرباً طوال اليوم ، حتى أن مارلين لم تكن ترد على آندرو عندما كان يوجه لها الحديث على غير عادتها فى الاهتمام بالرد المفصل على أى سؤال يوجهه لها الصبى .

وقد شعر آندرو بأن أمراً هاماً قد حدث ، لكن والديه لم يشركاه فى همومهما كما لاحظت بدرية .

وانتظرت بدرية بفارغ الصبر حلول الليل ، آملة أن يزورها جيفرى لكى يشرح لها ما خفى عنها ، خاصة وأن الجو المشحون بالتوتر لم يتبدد . لكنه لم يزرها فى تلك الليلة ولا التى تلتها . وفى الليلة الثالثة ، وعندما كان النعاس يداعب جفونها بعد أن يئست من حضوره ، انتفضت عندما شعرت بباب غرفتها يفتح ببطء ، ورأس

جيفرى تطل منه . قفزت من سريرها واقفة فى الوقت الذى دلف فيه جيفرى إلى الغرفة وارتمت فى أحضانه وهى تقول :

- ماذا حدث ؟ إننى أكاد أموت قلقاً .

وربت جيفرى على كتفها وارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه .

- حدثت مشادة عنيفة بينى وبين مدير الفرع . هذا كل ما فى الأمر .

وصاحت بدرية بالرغم عنها :

- لماذا ؟

وضع جيفرى إصبعه عمودياً على شفتيه لكى ينبهها أن تتحدث بصوت منخفض ، فقالت الفتاة :

- آسفة .

وسحبها جيفرى نحو السرير ، فكررت سؤالها وهى تتبعه .

- لماذا تشاجرتما ؟

وضحك جيفرى لأول مرة منذ ثلاثة أيام ، ورد على سؤالها قائلاً :

- الأمر يتعلق بالعمل ، ولن تفهمه إذا شرحته لك ..

ولم تدر بدرية ماذا تقول ، لكن قلقها دفعها إلى أن تستوضح منه .

- وهل الأمر خطير ؟ وهل تمت تسوية المشكلة بينكما ؟

وقال جيفرى وهو يخلع ملابسه :

- لا ، ولكن لا تشغلى بالك بمثل هذه الأمور

لكن بدرية لم يكن من الممكن أن تكتفى بهذا القدر من التفسير ، وهى فى الوقت ذاته لم تكن تريد أن تعكر صفوه ، فسألته وهى تبتسم :

- كيف إذن حللت الموضوع ؟

وهز جيفرى كتفيه وهو يخلع عنها رداء نومها .

- هو المدير ، ورأيه سينفذ . لكننى مازلت غير موافق عليه

وسألته الفتاة بعد أن احتضن جسدها العارى وجذبها للاستلقاء على السرير

- وماذا سيحدث ؟

وسرح جيفرى قليلا وقال :

- لست أدرى .

ترددت بدرية قليلاً ، ثم قالت وهى تشعر بنوع من الخجل لسؤالها :

- أعنى .. هل يمكن أن يفصلك ؟

وابتسم جيفرى وقد أدرك مغزى سؤالها .

- لا يستطيع فصلى ، لكن يمكنه أن يطلب نقلى إلى بلد آخر ..

وصاحت بدرية فى هلع :

- بلد آخر ؟ .. يعنى أن تغادر مصر ؟
- نعم بكل أسف .

واستولى الذهول على بدرية ، وأخذت تفكر ، هل تسأله عن مصيرها فى هذه الحالة ؟ هل الوقت مناسب لمثل هذا السؤال ؟ ألن يعده تجاوزاً من جانبها ؟ ..

وحاول جيفرى أن يربت على جسدها العارى ، لكنه أدرك أن ذهنها فى واد آخر ، فقال لها وهو يحاول أن ينمق كلماته ويجعلها تبدو رقيقة بقدر الإمكان .

- على أية حال لا تخشى شيئاً يا بدرية . إذا انتقلت إلى بلد آخر أو حتى إذا عدت إلى أمريكا ، فإننى لن أتركك . سأنتهز أول فرصة للطلاق ، ثم أرسل لك لكى تلحقى بى فى أى مكان أكون فيه .

وشعرت بدرية بقدر من الطمأنينة ، وألصقت جسدها به وقالت له :

- أنا أحبك يا جيفرى ..
- أعرف ذلك .. وأنا أيضاً أحبك يا بدرية ..

وأخذ ذهن بدرية يعمل بسرعة ، كانت أحياناً تتساءل عما إذا كان جيفرى يخدعها ، لكنها كانت تقول لنفسها إن " الخواجات " لا يكذبون ، وإن جيفرى يشعر بمدى حبها له . فلماذا يتخلى عنها ؟

- وإذا تقرر نقلك إلى بلد آخر ، فمتى يت ذلك ؟

وأجاب جيفرى شارداً ، وكأنه يحدث نفسه أكثر مما لو كان يرد على بدرية :

- أولاً الأمر ليس مؤكداً ، ومن سيحل محلى فى القاهرة . كل ذلك يحتاج بعض الوقت .
- كم من الوقت ؟
- ربما ثلاثة أو أربعة أسابيع ، وربما شهرين أو ثلاثة . لست أدرى على وجه الدقة . هذا يتوقف على ما سيقوله لهم المدير إذا طلب نقلى . وقد يقررون إرسال أحد المديرين الكبار ليبحث المسألة ويقرر من منا على حق . إن الاحتمالات كثيرة جداً ، ولا أدرى أيها ستقرره الإدارة العامة . لكن كل ما أرجوه هو أن تثقى فى أننى لن أتخلى عنك أبداً .
- أنا أثق فيك وفيما تعدنى به ..

وربت جيفرى على كتفها وقد أدرك أن الظروف لن تسمح الليلة بأن ينفذ ما جاء من أجله ، فنهض تاركاً السرير . وفهمت بدرية ما يفكر فيه ، فقالت شبه متوسلة :

- ابق قليلاً .

وأجاب جيفرى وهو يرتدى بيجامته :

- لابد أن أنام الآن ، فعندى غداً يوم عمل شاق .

ظلت بدرية فريسة للقلق طوال الأيام التالية على الرغم من انهماكها فى العمل . كانت تفكر فيما سيئول إليه مصيرها إذا ما رحل جيفرى . فمغادرته البلاد فى مثل هذه الظروف لن تسمح له حتى بأن يوصى خلفه بأن تعمل عنده . وأخذت تتساءل بينها وبين نفسها ، هل سيبر جيفرى فعلاً بوعده فيطلق مارلين ويرسل إليها لتلحق به ، كان الشك يتزايد فى نفسها ، خاصة وأن زيارات جيفرى الليلية تباعدت بصورة ملحوظة ، وحتى أثناء زياراته القليلة كان يتهرب من الإجابة على أسئلتها بشأن عمله ، كما كان شارداً طول الوقت ، يريد أن يقضى حاجته فحسب .

كانت تبكى فى بعض الليالى بعد أن يغادر جيفرى حجرتها ، فقد باتت تشعر أن كل أحلامها فى مهب الريح ، وأنها عرضة للإنهيار فى كل لحظة .

وبعد نحو شهرين ، حدث ما كانت تخشاه بصورة عدتها مهينة لها . فقد استدعتها مارلين يوماً إلى حجرة نومها ، وطلبت منها أن تساعدها فى إعداد حقائب السفر .

وصعقت بدرية . فلم يكن جيفرى قد أشار لها ، ولو من بعيد ، عند آخر زيارة لغرفتها قبل ليلتين ، عن احتمال رحيلهم . وسألت مارلين عما إذا كانوا سيغادرون البلاد ، فأجابتها بالإيجاب . وكتمت بدرية دموعها بصعوبة بالغة وهى تساعد الأمريكية فى إعداد الحقائب . وبعد أن تمالكت نفسها قليلاً ، سألتها عن وجهتهم . وعرفت منها أنهم عائدون إلى هيوستن .

واستغرق جمع متاع الأسرة وحزمه يومين ، بذلت بدرية خلالهما قصارى طاقتها لكى تنفرد بجيفرى ولو للحظات ، ولكن بدون جدوى ، فقد كانت مارلين تتحرك فى كل مكان بالمنزل بسرعة كبيرة ، حتى تتأكد أنها لم تنسى شيئاً وأن جميع متاعها قد حزم بنظام دقيق .

وفى الليلة السابقة لسفر الأسرة . زارها جيفرى فى حجرتها . ولم يخلع بيجامته كما كان يفعل دائماً ، بل جلس على طرف سرير بدرية ، وربت على يدها ، وقال :

- جئت لأسلم عليك ..

وجرت الدموع من عينى بدرية فى صمت ، وقالت بصوت باك .

- هكذا .. ستسافرون ..

وابتسم جيفرى ، وهز رأسه :

- نعم ..لكنك تعرفين أن الأمر ليس بيدى .

وساد الصمت لحظات ، ودموع بدرية تنسال على خديها . أضاف جيفرى وكأنه يريد إنهاء الموضوع :

- لا تبكى ، فإننى سأرسل لك بعد فترة وجيزة لكى تلحقى بى ونتزوج فى أمريكا .

ثم أضاف بعد صمت قصير ، وقد أخرج حزمة من النقود من جيبه :

- هذا هو المبلغ الذى استطعت أن أدبره الآن ، لكننى سأرسل لك غيره بانتظام عن طريق مارك ، زميلى فى ابنك الذى تعرفينه . اتصلى به من حين لآخر ، أو أعطيه عنواناً يستطيع هو الاتصال بك فيه كلما وصله مبلغ من المال .

ولم تمد بدرية يدها لتأخذ النقود ، فتركها لها على الفراش ، وهم بالنهوض ، فقالت بعصبية :

- لا .. لا.. تمضى هكذا .. قل لى .. متى ترسل لى لكى ألحق بك ؟

واعتدل جيفرى فى جلسته وقال :

- لاأدرى على وجه التحديد فهذا يتوقف على ما ينتظرنى فى البنك . لكنى أعدك أن أفعل ذلك فى أقرب فرصة .

ولم تدر بدرية . هل تصدقه ؟ وأطرقت ثم قالت :

- جيفرى .. أنا أحبك وأثق بك ، لكن قل لى شيئاً لكى تطمئننى .

وابتسم جيفرى ، وقال بصوت ناعم :

- بدرية .. لقد كان يمكننى أن أسافر بدون أن أحضر لأراك . لكننى حرصت على أن أجىء إليك بالتحديد لكى أطمنك . فماذا تخشين ؟
- أخشى أن تنسانى ، فالبعيد عن العين بعيد عن القلب ..
- وهل ستنسينى أنت عندما أصبح بعيداً ؟

وانتفضت بدرية وقالت بحرارة :

- لن أنساك أبداً .
- لماذا إذن تخشين أن أنساك أنا ؟

وعادت دموع بدرية تنساب ، وأجابت :

- لست أدرى .. أنا لست متعلمة مثلك ، لذلك فإننى تائهه .

وربت جيفرى على يدها مرة أخرى ، وقال لها :

- ثقى بى واطمئنى . لابد أن أمضى الآن ، لأن يوم غد سيكون يوماً شاقاً بالنسبة لى ، وانحنى عليها ، وقبلها قبل أن يقوم . ثم نهض وهو يقول لها :
- نوماً هادئاً ثم اتجه إلى الباب . وقبل أن يفتحه، صاحب بدرية بلهفة :
- جيفرى

فالتفت إليها وهو يتنهد ، فقالت له وقد بدأت تنشج :

- أرجوك .. لاتنسانى .

وأرسل لها جيفرى قبلة فى الهواء قبل أن يفتح الباب ويخرج منه . وبمجرد خروجه ، انكفأت بدرية على وسادتها ، وأخذت تنشج وقد استبد بها اليأس . وفى اليوم التالى ، يوم الوداع ، كانت بدرية لا تتوقف عن البكاء . وقد تأثرت مارلين ، وطلبت من جيفرى أن يعطى الفتاة مبلغاً من المال . وعندما حاولت بدرية أن ترفض ، قالت لها الأمريكية إن هذه هى مكافأة نهاية الخدمة . أما آندرو ، الذى كان فرحاً لفكرة السفر ، فقد واساها قائلاً إنهم سيجيئون لزيارتها ، وسأل والدته :

- أليس هذا صحيحاً يا أمى ؟

وردت عليه مارلين باقتضاب :

- بالطبع .

وحاولت بدرية أن تلفت نظر جيفرى ، الذى كان أخشى ما يخشاه الآن أن تبدر الفتاة بادرة تفضح كل شىء ، لذلك كان يتحاشى نظراتها .

وعندما تحركوا نحو الباب ، نظر جيفرى نحو بدرية وقال لها :

- بدرية .. إننا لن ننساك ، وسنظل على اتصال بك .

وشعرت بدرية أنه يبلغها بطريقة غير مباشرة أنه عند وعده لها ، فشعرت ببعض الطمأنينة ، وبقيت بدرية معهم حتى استقلوا السيارة التى ستوصلهم إلى المطار .

****

عادت بدرية إلى منزلها وعيناها دامعتان . وعندما رآها أفرد الأسرة ، أذوا يسخرون منها لأنها تعلقت بهؤلاء الخواجات إلى حد البكاء لفراقهم ، باستثناء أمها وبتعة . وحاولت أمها أن تطيب خاطرها بقدر ما أمكنها . أما بدرية ، فقد قررت أن تبحث ، عن طريق مكتب التخديم ، عن عمل جديد حتى تحافظ على وضعها الذى فرضه عملها بين أفراد الأسرة من جهة ، ومن جهة آخرى قالت لنفسها إنها يجب أن تعمل وتكسب لكى تضع جانباً مبلغاً من المال يعينها على شراء بعض الملابس الأنيقة عندما يطلب منها جيفرى أن تلحق به . فقد كانت تريد أن تسافر إليه وهى فى أبهى صورة .

والتحقت فعلاً بعمل جديد ، وإن رفض مخدوموها الجدد رفضاً قاطعاً أن تبيت فى منزلهم . لكن المرتب الذى عرضوه عليها كان أكبر مما كانت تتقاضاه عند آل جيفرسون . وهكذا عادت بدرية تنام على الحصيرة فى حجرتهم المتواضعة .

وظلت بدرية تنتظر دعوة جيفرى ، لكنها لم تطق احتمال وطأة سرها وحدها ، فأخبرت بتعة بأن جيفرى يحبها وأنه سيرسل إليها لكى تلحق به بعد أن يطلق زوجته ، وكتمت عنها ما كان بينهما من علاقة . وأعربت لها بتعة عن شكها فى أن يحدث ذلك ، لكنها كانت فى الواقع تحلم بأن يتحقق ذلك ، فمن يدرى ، ألا يمكن فى هذه الحالة أن تأخذها بدرية معها ، أو على الأقل ترسل لها الأموال من أمريكا ؟ وبالطبع كتمت بتعة سر أختها حتى عن أمها .

وبعد مضى نحو شهر ، توجهت بدرية إلى مقر البنك الذى كان جيفرى يعمل به ، وسألت زميله إن كان قد أرسل لها شيئآ . لكن الرجل أكد لها أن جيفرى لم يرسل لها أى شىء . وتكررت زيارة بدرية للبنك مرتين بعد ذلك ، يفصل بين كل منها أكثر من شهر . وأخذ اليأس يدب فى قلب بدرية . التى لم تكن تريد أن تتخلى عن أحلامها بهذه السهولة . وقد طلبت من زميل جيفرى فى أول زيارة ، أن يرسلله خطابآ يخبره فيه أنها تسأل عنه ، فوعدها بذلك . لكنه أكد لها لم يتلقى أى رد من زميله .

وأخذت بدرية تستسلم شيئآ فشيئآ لفكرة أن جيفرى قد خدعها بوعوده . وعلى الرغم من أن ذلك حز فى نفسها كثيرآ ، إلا أنها لم تتخل عن أحلامها بأن تدخر من عملها مبلغآ تفتح به مطعمآ صغيرآ . لكنها كانت تفكر فى جيفرى كل ليلة وهى على فراش نومها ، وكانت تخاطبه بينها وبين نفسها ، وتعاتبه على ما فعله معها . لقد كان جيفرى حلمآ جميلآ لم يكن من السهل عليها أن تتخلى عنه . وكانت كثيرآ ما تحاول أن تنتحل له الأعذار لكى تبرر صمته . فهى تارة تقول إن مشاكل العمل ربما قد أثقلت عليه بعد ما حدث مع مديره ، وهو يحاول أن يحلها قبل أن يلتفت إلى حياته الشخصية ، وتارة أخرى تقول إن مارلين رفضت الطلاق ، وأنه ينتظر الفرصة المناسبة لكى يطلقها .

أما جيفرى ، فقد أعيد إلى وظيفته الأولى بعد عودته لهيوستن ، ونسى بدرية . وكان إذا ما تذكرها ، ونادراً ما يحدث ذلك، فقد كان يبتسم وهو يتذكر ما كان بينهما . وبعد بضعة شهور ، طلبه رئيسه ، وأبلغه إن إدارة البنك تحققت أنه كان على حق فى خلافه مع مدير فرع القاهرة ، فقد ظهر أن سياسة هذا الأخير كانت خاطئة ، لذلك ، ومكافأة له ، وتعويضآ عن تركه مصر بهذه الصورة ، فقد قرروا تعيينه نائبآ لرئيس فرع البنك فى باريس ، وسأله قائلآ:

- إن زوجتك تجيد الفرنسية ، أليس كذلك ؟

وأجاب جيفرى والفرحة فى عينيه :

- نعم فهى مدرسة للغة الفرنسية ..

وقال له رئيسة باسماً :

- عظيم .. وهكذا فالمنصب الجديد يناسب كلا منكما .

وبعد أقل من شهرين ، كان جيفرى ما كفرسون فى طريقه إلى باريس لكى يتسلم منصبه الجديد .

سبقت جيفرى ماكفرسون إلى فرع باريس إشاعة بأنه خبير كبير فى أمور البنوك ، وأنه كان السبب – بصورة غير مباشرة – فى فصل مدير فرع القاهرة من العمل . لذلك فقد استقبله مدير الفرع استقبالا حافلاً ، وتسلم عمله فور وصوله إلى باريس . وكان رواد ، أحد معاونيه ، لبنانى الجنسية أصلا ، لكنه تجنس بالجنسية الفرنسية . وقد رحب به جيفرى ، وقال له بضع كلمات بالعربية كان قد تعلمها فى القاهرة ، فصارت بينهما شبه ألفة ، فرح لها رواد .

وإذا كان جيفرى أحياناً ما يتذكر بدرية فى هيوستن ، فإنها سقطت من ذهنه تماما فى باريس ، فلم تعد تخطر له على بال فى غمرة الأيام الأولى لعمله الجديد . واستقبل جيفرى فى مقر عمله يوما عميلا عربيا طلب مقابلته . وبعد أن شرح له الرجل أنه يمتلك حسابا هاما فى مقر البنك الرئيسى فى هيوستن ، قال له إنه ينوى نقل جزء من حسابه إلى باريس ، لأنه بصدد القيام بأعمال تجارية مع فرنسا . وسهل له جيفرى عملية نقل الحساب ، وأخذ يقدم له بعض النصائح .

وفى أحدى لقاءاتهما للانتهاء من الإجراءات ، قال له رجل الأعمال ، الشيخ مصباح . إنه ينوى فتح بنك فى بلده ، المملكة العربية السعودية ، وسأله إن كان يستطيع معاونته . وأبدى له جيفرى استعدادا وقال له إنه تحت تصرفه فيما يريد من استشارات . وبعد عدة زيارات كان الأمريكى يقدم خلالها وجهة نظره للشيخ مصباح ، فاجأه هذا الأخير يوماً بأن اقتراح عليه أن يكون هو مديرا للبنك الجديد . وتردد جيفرى طويلا ، لكن إلحاح الشيخ مصباح والمرتب المغرى الذى عرضه عليه ، جعله يطلب منه مهلة للتفكير فى الأمر . لكن الرجل ألح إلحاحا شديدا فى أن يحصل على رده فورا ، لأنه سيسافر فى اليوم التالى إلى الرياض ، وستكون هذه فرصة لكى يدبر له تأشيرة الدخول للمملكة حتى يمكن لهما أن يبحثا سويا على الطبيعة ما يجب عمله ، من اختيار مقر مناسب للبنك الجديد إلى باقى الإجراءات التى تستوجبها إقامة هذا البنك . وعندما وجد جيفرى أنه لا مناص من أن يحدد موقفه فورا ، وأمام إغراء عرض الشيخ ، أعلن عن موافقته المبدئية، لكنه قال له إنه لن يقدم استقالته من البنك الأمريكى إلافى آخر لحظة ، وبعد أن يتحدد موعد

افتتاح البنك الجديد . وقد وافق الشيخ مصباح على ذلك ، خاصة وأنه لم يكون ملزما بالمرتب الكبير الذى اقترحه على جيفرى قبل أن يستقبل هذا الأخير من عمله .

وعندما عاد جيفرى إلى منزله سعيدا ، أخبر مارلين بالأمر ، لكنه فوجىء بأنها غضبت لأنه لم يستشرها قبل أن يوافق على العرض ، وظلت غاضبة حتى بعد أن شرح لها ظروف موافقته . وقال لها جيفرى إن المرتب الذى يعرضه عليه الرجل كبير جدا ، إلى جانب الامتيازات المادية الأخرى المصاحبة لمنصبه ، من مسكن لائق وسيارة ، وبالإضافة إلى أنه سيصبح مديرا عاما للبنك ، وهو ما لن يتح له فى البنك الأمريكى الذى يعمل به إلا بعد عشرات وعشرات السنين ، هذا إذا ما وصل إلى هذا المنصب أصلا . وعندما رأى عناد زوجته ، قال لها إن الرجل ربما غير رأيه عندما يعيد التفكير فى الأمر ، وأنه على أيه حال يستطيع فى أى وقت أن يعتذر له عن قبول المنصب ، لكنه نصحها بأن تفكر فى الأمر حتى تعطية ردا نهائياً إذا ما اتصل به الشيخ مصباح .

وبعد مضى أسبوعين ، تلقى جيفرى اتصالا هاتفيا من الشيخ مصباح من الرياض ، وبشره بأنه فى طريقة للحصول على تأشيرة دخوله للمملكة ، وأن عليه أن يستعد لأن يلحق به فى الرياض خلال أسبوع . وعندما استفسر منه جيفرى عن المدة التى سيقضيها فى المملكة ، قال الشيخ مصباح إن ذلك يتوقف على سرعة إنجازهما لما ينبغى عمله . واعتذر جيفرى بأنه لم يمضى عليه فى عمله الجديد سوى بضعة شهور ، لذلك فإنه لا يستطيع الحصول على إجازة تزيد عن أسبوع ، فقال الشيخ مصباح إنه يمكن خلال هذا الأسبوع إنجاز كبير من العمل .

ومرة أخرى غضبت مارلين عندما أخبرها زوجها بأن سيسافر إلى الرياض بعد أسبوع وقالت له إنها لا تريد أن تقضى حياتها فى التنقل من بلد إلى بلد ، وأنها تحب الاستقرار . ولم تفلح حجج جيفرى فى إقناعها بقبول فكرة المعيشة فى الرياض ، فقال لها إنه على أية حال سيسافر لمدة أسبوع واحد فحسب ليساعد الشيخ مصباح ، وبعد ذلك يعاودان التشاور فى الأمر .

وبعد أسبوع ، اتصل الشيخ مصباح بجيفرى فى مكتبه ، وطلب منه التوجه فورا إلى القنصلية السعودية فى باريس لكى يحصل على تأشيرة الدخول ، ثم يتوجه إلى شركة الطيران السعودية ، حيث سيجد بطاقة سفر بإسمه ، ويحضر فى أول فرصة .

وبعد ثلاثة أيام ، كان جيفرى فى الطائرة التى أقلته إلى المملكة العربية السعودية .

وفى الرياض ، شعر جيفرى بالمكانة التى يحتلها الشيخ مصباح ، فأحس بالارتياح . وعقد الرجلان اجتماعات عمل ، وزارا عدة أماكن تصلح لإقامة بنك . وبينما هما فى سيارة الشيخ مصباح يتنقلان فى العاصمة السعودية ، سأله هذا فجأة ، كمن تذكر شيئآ :

- مستر جيفرى .. أنت متزوج ، أليس كذلك ؟

ورد جيفرى بالإيجاب متسائلا عن السبب فى هذا السؤال ، فقال له الشيخ مصباح :

- لأن المملكة لا تعطى الأجانب تأشيرة عمل بها إلا للمتزوجين ..

وسأله جيفرى :

- إذن لابد أن تحضر زوجتى للإقامة هنا معى ؟
- نعم . هذا لابد منه .

وسأله جيفرى :

- وإذا رفضت ؟

وابتسم الشيخ مصباح قائلا :

- عليك بإقناعها .. ولكن ، لماذا ترفض زوجة أن تقيم مع زوجها فى مقر عمله ؟

وهز جيفرى رأسه بدون أن ينطق ، فأردف الشيخ مصباح قائلا :

- سأحتاج منك لعقد زواجك ، ولشهادة تعميدك ..

وقال جيفرى بدهشة :

- شهادة تعميدى ؟ تقصد من الكنيسة ؟
- نعم .. أنت مسيحى ، أليس كذلك ؟

وقال جيفرى ودهشته تتزايد :

- نعم .. لكن ذلك قد يحتاج لبعض الوقت ..

وضحك الشيخ مصباح قائلا :

- إبدأ فى استخراجها من الآن ولا تخشى شيئآ ، فإجراءات فتح البنك ستأخذ وقتا أكبر على الأرجح مما سيأخذه استخراج شهادة تعميدك ..

وتردد جيفرى قليلا ، لكنه سأل فى النهاية :

- وما فائدة شهادة التعميد ؟

وابتسم الشيخ مصباح وقال :

- السلطات السعودية لا تفضل أن يعمل اليهود بها ، فقد يكونوا جواسيس لإسرائيل . لذلك فهى تشترط لمن يريد العمل بها وليس مسلما، شهادة تعمييده ..

ومرة أخرى هز جيفرى رأسه قائلا :

- فهمت ..

وأخذ جيفرى يفكر . ماذا لو رفضت مارلين رفضا قاطعا أن تصحبه إلى الرياض ؟ ستضيع عليه فرصة عمل لن تتكرر مرة أخرى فى حياته . وأخذ يتصور كيف سيدير هذا البنك ، وكيف سيتسع نشاطه ، فيفتح له أفرعا فى مختلف مدن المملكة العربية السعودية ، ثم فى أهم العواصم العالمية حتى يصبح واحدا من أهم بنوك العالم .. ومارلين الحمقاء تريد أن تضيع عليه هذه الفرصة التى سيثبت بها مدى كفاءته .

وعندما عاد جيفرى إلى باريس ، حاول بكل الوسائل أن يقنع زوجته بالسفر معه إلى الرياض . لكن مارلين ، بعناد شديد ، رفضت تماما أن تلين وقالت له إنها لن تذهب إلى الرياض ، وليذهب وحده إذا أراد .

ولم يستطع جيفرى أن ينام تلك الليلة . لقد أصبح الآن واثقا تماما أن زوجته لن تغير رأيها . هو لم يخبرها أن سفرها معه شرط لإتمام التعاقد لكى لا يعطيها الفرصة لابتزازه . ومع ذلك رفضت بإصرار غريب . شعرساعتها أنه يبغضها وقال فى نفسه إنه لن يسمح لها بأن تقف فى طريق مستقبله . ولكن ما العمل ؟

وفى مكتبه ، طلب جيفرى من رواد أن يمر عليه . وعندما دخل عليه رواد ، طلب منه أن يجلس . وجلس رواد وهو يتوقع أن يحدثه جيفرى فى العمل ، لذلك فقد فوجىء عندما سأله :

- رواد .. هل أنت مسلم ؟

وتساءل رواد عن سبب هذا السؤال ، وتوجس منه ، لكنه أجاب قائلا :

- نعم ، أنا مسلم سنى . أنا أعلم أن الغالبيةمن اللبنانيين فى باريس من الموارنه ، لكننى أنا مسلم .

وابتسم جيفرى قائلا :

- وكيف يصبح الإنسان مسلما؟

وزادت حيرة رواد فقال :

- المفروض أنه يكفى أن تقول الشهادتين لكى تصبح مسلما . لكن لكى يكون الإنسان مسلما حقا ، فإنه يتعين عليه أن يطبق أركان الإسلام الخمسة ، وهى ...

وقاطعه جيفرى قائلا :

- ولكن كيف تثبت رسميا أنك مسلم ؟

وبدأ رواد يفهم . فقال له :

- أنا لا أفهم فى الإجراءات ، لكنك تستطيع . إذأردت أن تسلم رسميا ، أن تسأل عن ذلك فى الجامع ..
- الجامع ؟ وأين هو ؟
- لإى الحى الخامس . أستطيع إذا أردت أن آخذك إليه أحد الأيام .
- لا .. اليوم إذا كان ذلك ممكنا
- كما تريد . نذهب إلى هناك بعد انتهاء يوم العمل .
- حسنا.. مرعلى قبل انصرافك ونذهب سويا .

ورد رواد وهو شبه ذاهل :

- كما تريد ..

عندما خرج جيفرى مع رواد من مبنى البنك ، طلب منه أن يجلسا فى أحد المقاهى المنتشرة فى جميع شوارع باريس . وسأله رواد إن كان قد غير رأيه ، فأجابه جيفرى :

- لا .. لكن أعتقد أننا يجب أن نتريث قليلا . لقد فكرت فى الأمر ، وأظن أننى إذا ذهبت لمقابلة شيخ الجامع وأنا أعرف بعض سور القرآن ، فربما كان ذلك أفضل .

وهز رواد كتفيه ، وقال فى غير مبالاة :

- ربما ..

كان رواد يريد أن يفهم دافع جيفرى لاتخاذ مثل هذه الخطوة . لو كانا فى بلد إسلامى ، لظن أن لجيفرى صديق مسلم أقنعه باعتناق الإسلام ، لكنه لا يعرف له صديقا مسلما فى باريس غير نفسه ، وهو لم يناقشه فى الدين . بل إن مناقشتهما كانت تتعلق بالعمل دائما . وقال فى نفسه إنه ربما كان لهصديق فى القاهرة قد أقنعه . لكن ، فى مثل هذه الحالة، لماذا لم يشهر إسلامه فى القاهرة . ربما استمر يفكر فيما قاله صديقه المصرى . ولم يصل إلى قناعة تامة إلا الآن ..

وبعد أن جلسا فى المقهى ، طلب جيفرى من رواد أن يختار له عددا من الآيات السهلة لكى يحفظها بسهولة . وبعد قليل من التردد ، سألت رواد :

- مستر ماكفرسون . هل تسمح لى بسؤال ؟

توقع جيفرى طبيعة السؤال ، فابتسم وقال :

- تريد أن تعلم ما يدفعنى إلى اعتناق الإسلام ، أليس كذلك ؟
- نعم . فلقد كنت فى القاهرة لفترة تقرب من عامين . فلماذا لم تعلن إسلامك هناك ؟

وعاود جيفرى الابتسام وقال :

- لم أكن أريد أن يتخيل الناس أننى أتملق أحدا بإعلان إسلامى أما هنا ، فلا يمكن أن يتهمنى أحد بذلك .
- لكن ، ما دمت مقتنعآ بالفعل ، ماذا يضيرك مما يظنه الناس ..

وفكر جيفرى بسرعة ، ثم حزم أمره وقال :

- الحقيقة أن هناك سببا آخر .

وانتظر رواد بضع لحظات ، لكنه سأل أمام صمت جيفرى :

- وماهو ؟
- لقد أحببت فتاة مصرية وأردت أن أتزوجها . وهى تشترط لذلك أن أشهر إسلامى ..

وقال رواد بسرعة :

- هذا أمر طبيعى ..

ولم يعلق جيفرى ، وإنما استطرد قائلا :

- بعد أن غادرت مصر ، ظننت أنى سأنساها ، لكننى اكتشفت هنا فى باريس أننى لا أستطيع الاستغناء عنها ..

واعترت الدهشة رواد ، فقال :

- ولكن ..ماذا عن مسز ماكفرسون ؟
- من حق المسلم أن يتزوج أربع نساء ، أليس كذلك ؟
- نعم ، ولكن القوانين ، سواء الفرنسية أو الأمريكية تمنع ذلك ..

ورد جيفرى ببرود :

- سأتزوجها ولو اضطررت للانفصال عن مسز ماكفرسون ..

وتزايدت دهشة رواد ، لكنه لم يعلق ، فواصل جيفرى حديثه قائلا :

- والآن وقد عرفت كل شىء هل أنت على استعداد لمساعدتى ؟
- بالطبع .. فأنت أدرى بظروفك .
- إذن ، لنعد إلى موضوعنا . أننى أقترح أن أحضر معى غدا جهاز تسجيل ، ونجلس هنا بعد مواعيد العمل ، وأنت تتلو على الآيات ، وأنا أحاول أن أحفظها ، ونسجلها فى ذات الوقت ، حتى أستطيع ترديدها فى المنزل حتى يتم لى حفظها بنطق سليم . ما رأيك ؟
- هذه أفضل طريقة بالفعل ، وأنا موافق .

وبعد جهود استغرقت نحو أسبوعين ، استطاع جيفرى أن يحفظ سورة الفاتحة ، وقل هو الله أحد والفتح وتبت يدا أبى لهب وتب . وقال جيفرى لرواد بعد أن أعرب هذا الأخير عن ارتياحه لمدى حفظ جيفرى :

- غدا يوم السبت ، أى يوم راحتنا من العمل ، فهل توافق على أن نذهب إلى الجامعة سويا ؟

ووافق رواد ، وتواعدا على اللقاء فى الغد قبل أن يفترقا .

وفى اليوم التالى ، وبينما هما فى مكتب شيخ جامع باريس ، أخذ الشيخ يسأل جيفرى عما يعرفه عن الإسلام ، فوجد أنه يحفظ بعض السور ، وأن لديه معلومات لا بأس بها عن أمور الدين . وعندما سأله عن سبب اعتناقه للإسلام ، لاحظ رواد أن الأمريكى تحدث طويلا ، لكنه لم ينبس ببنت شفة عن رغبته فى الزواج بفتاة مسلمة . وبعد أن نطق جيفرى بالشهادتين أمام إمام الجامع ، سجله الشيخ فى سجل المسلمين بإسم عبد الغنى ماكفرسون وهنأه على إسلامه .

وبعد أن خرجا ، سأله رواد عن سبب عدم ذكر السبب الحقيقى لإسلامه للشيخ ، أجابه جيفرى قائلا إنه لم يكن يريد أن يدع فرصة للشيخ لكى يرفض إشهار إسلامه ولم يرض رواد عن هذه الإجابة ، لكنه لزم الصمت .

وكان أول ما فعله جيفرى يوم الإثنين بعد أن دخل مكتبه هو أنه اتصل بزميله الأمريكى الذى يعمل فى فرع البنك بالقاهرة ، وسأله عن أخبار بدرية ، فأخبره محدثه أنها جاءت إليه لآخر مرة منذ ثلاثة شهور ، وأنه لا يعلم عنها شيئا منذ تلك الزيارة . وأعطاه جيفرى عنوان مكتب التخديم الذى جاءتهم عن طريقه ، وطلب منه أن يعرف من هذا المكتب كيفية الاتصال بها ، وأن يطلب منها أن تتصل به للأهمية على هاتفه الخاص فى مكتبه ، كما رجاه أن يجعلها تتصل به من فرع البنك فى القاهرة .

وعندما اتصل به الشيخ مصباح هاتفيا من الرياض ، أبلغه جيفرى أنه أسلم . وقد أعرب الشيخ عن دهشته ، وقال له إنه لم يطلب منه ذلك . ورد جيفرى قائلا إن هذه مسألة خاصة بقناعاته ، ولا دخل لها بالمفاوضات الدائرة بينهما . وهنا هنأه الشيخ مصباح ، وأخبره بأنه سيمر على باريس بعد يومين ، وأنه سيتصل به لكى يلتقيا لكى يعرض عليه ما أنجزه .

وفى اليوم التالى ، اتصلت به بدرية ، فبادرها بقوله إنه قد أشهر إسلامه ، فأعربت عن فرحتها الشديدة بذلك ، بعد أن كانت قد أعدت كلمات عتاب قاسية ، وقال لها إنه سيرسل لها بطاقة سفر إلى باريس ، وأن عليها أن تتوجه إلى شركة الطيران الفرنسية لكى تسأل عنها . وشعرت بدرية أن الدنيا لا تتسع لفرحتها . كما رجا جيفرى زميله الأمريكى أن يساعد بدرية فى استخراج جواز سفر ، وفى الحصول على تأشيرة دخول فرنسا .

وعندما التقى جيفرى بالشيخ مصباح ، سأله الشيخ وهو يكتم ضحكة عن السبب الحقيقى لإسلامه ، فقال له جيفرى إنه أحب فتاة فى مصر ويريد أن يتزوجها ، وقد اشترطت عليه أن يشهر إسلامه قبل الزواج . واعتذر له الشيخ عن سؤاله قائلا إنه خشى أن يكون قد تصور أن ذلك سيغير شيئاً فى علاقة العمل بينهما ، لكن ما دامت المسألة ذات طابع شخصى ، فإن الأمر يختلف . وأكد له جيفرى أنه لم يكن يرضى بذلك لو لم يكن قد قرأت كثيرا عن الإسلام وأعجب بالمبادئ التى جاءت فيه . ولم يعلق الشيخ مصبح بكلمة واحدة .

****

كان جيفرى فى انتظار بدرية فى المطار عندما وصلت إلى باريس . وقد تنهد وهو يراها تخرج من باب الوصول وهى كالتائهة ، وقد ارتدت أحسن ما عندها من ثياب ، لكنها تبدو له مع ذلك خادمة كما عرفها فى مصر . وكانت الفتاة تحمل حقيبة قديمة اشترتها من زوج أمها بمبلغ بسيط .

وعندما رأته ، تهلل وجهها ، وأسرعت نحوه . أما هو فقد ظل فى مكانه حتى وصلت إليه ، فسلم عليها بيده ، وقال لها بالعربية :

- حمد الله على السلامة ..

وتهلل وجه بدرية ، وقالت له :

- سلمت لى ..

وسار ، فسارت خلفه ، ولم يعرض عليها حتى أن يحمل الحقيبة .

واستقلا سيارة أجرة توجه بهما إلى حى " ريبوبليك " (أى الجمهورية) ، وتوقف ، كما طلب منه جيفرى ، أمام فندق متواضع بأحد شوارع الحى الذى يكثر فيه العرب من شمال أفريقيا . وقد حاولت بدرية طول الطريق من المطار أن تتحدث مع جيفرى ، وتسأله عن إشهار إسلامه ، فكان يجيبها إجابات مقتضبة لم تشف غليلها . لكنها كانت فى حالة من السعادة جعلتها لا تلقى بالا لذلك . وسألته عندما توقفت السيارة :

- أين نحن الآن ؟

ورد عليها جيفرى قائلا :

- ستسكنين فى هذا الفندق حتى نتزوج رسميا ، ثم أبحث عن شقة نعيش فيها .

ودخلت بدرية خلفه إلى الفندق ، وهى تكاد تطير من الفرحة ، فها هى أحلامها ، التى كانت قد يئست من تحقيقها ، تتجسد بصورة كاملة .

لم تكن بدرية تخرج من غرفتها بالفندق ، بل تظل قابعة تنتظر أن يمر جيفرى عليها ، وكان هو يشترى بعض المأكولات بعد انتهاء مواعيد عمله ، ثم يمر عليها ، ويأكلان فى حجرتها ، حتى لا يضطر إلى تناول الطعام معها فى مطعم ، فقد كان يخجل من منظرها ، ويخشى أن يراه أحد العاملين فى البنك معها ، ثم يخرج بها لكى ترى بعض معالم باريس الشهيرة لمدة ساعتين أو ثلاثة على أكثر تقدير ، متعمداً أن يسبقها بخطوة أو خطوتين ، قبل أن يفارقها إلى اليوم التالى . وكان جيفرى يحاول تشجعيها على الخروج وحدها أثناء فترة عمله لتتجول حول الفندق ، لكن تلك الفكرة تصيبها بحالة من الرعب ، على الرغم من أنه قال لها إن عدداً كبيراً من أصحاب المحال ، بل والمارة فى الشارع الذى يوجد به الفندق والشوارع المحيطة به ، من العرب . كانت تشكو له من وحدتها الفاسية . فقد كانت تنام مبكراً لأنه ليس لديها أى شىء تعمله ، وتستيقظ والظلام لا يزال مخيماً على المدينة ، وتجلس على سريرها بعد أن ترتب فراشها وتنظف غرفتها قبل أن تتناول طعام إفطارها من بقايا الطعام الذى تناولاه فى اليوم السابق ، واقترحت عليه أن تعمل فى تنظيف المنازل بينما هو فى البنك ، فهذا هو العمل الوحيد الذى تتقنه .

وقد استشار جيفرى رواد فى ذلك ، وساله إذا لم يكن يعرف شخصاً يريد أحداً لتنظيف منزله ، لأنه هو شخصياً لا يريد أن تعلم زوجته مارلين أن بدرية قد جاءت إلى باريس . واقترح عليه رواد أن تقوم بتنظيف منزله لأن سيدة مغربية كانت تقوم بذلك وتركتهم منذ فترة وجيزة .

وبعد ظهر ذلك اليوم ، توجه رواد مع جيفرى غلى فندق بدرية ، واصطحبها معه إلى منزله . وعلمها كيف تصل إليه . واستقبلتها مها ، زوجة رواد ، استقبالاً حسناً ، واتفقت معها على تنظيف المنزل مرتين فى الأسبوع ، يومى الاثنين والخميس ، لمدة ساعتين فى كل مرة . وقالت لها إن أجر الساعة المتداول هو ثلاثين فرنكاً . ووافقت بدرية بلا تردد .

كانت مها تعمل فى سفارة الكويت فى باريس ، إذ أنها كانت تجيد الفرنسية والعربية بالطبع . أما ولديها غسان ورانية ، فهما يذهبان إلى مدرستهما ، لذلك فقد أعطت بدرية مفتاح شقتها ، وطلبت منها أن تحافظ عليه . كما أنها أطلعتها على مكان أدوات التنظيف وجميع ما قد تحتاجه فى عملها ، وقالت لها إنها ستترك لها أجرها فى كل مرة تحضر فيها فى مكان حددته لها .

وعاد بها رواد إلى فندقها حتى تحفظ الطريق ، وكتب لها عنوان منزله وعنوان فندقها فى ورقة احتفظت بها بعناية فائقة فى حافظة نقودها القليلة التى كان جيفى قد أعطاها أياها بمجرد وصولها إلى باريس ، والتى لم تستخدم منها شيئاً .

ولحسن حظ بدرية أن خط المترو الذى كان يصل بين فندقها ومنزل رواد لم يكن يحتاج منها لتغيير القطار ، لذلك فإن كل ما كان عليها هو أن تعد عدد المحطات التى يتوقف فيها . وسألت رواد وهى تكاد ترتجف خوفاً :

- وإذا لم يقف المترو فى إحدى المحطات . فقد أتوه ولا أعرف كيف أصل إلى منزلكم أو إلى الفندق ، فكيف أفعل ؟

واستغرق رواد فى الضحك قائلاً :

- لا يمكن ألا يتوقف المترو فى إحدى المحطات . لكنك إذا تهت ، فإن معك عنوان المنزل وعنوان الفندق . وسأضيف لك رقمى تليفونى الفندق والبنك إذا ما حدث لك شىء يستوجب طلب النجدة .

وعندما انفردت بدرية بنفسها فى الفندق ، أخذت تحسب بسعادة بالغة المبلغ الذى ستتقاضاه بعمل أربع ساعات فى الأسبوع ، فإذا به يفوق ما كانت تتقاضاه فى مصر فى شهر كامل . كما أنها سعدت بالخروج من الفندق الذى كانت حبيسة فيه طوال أسبوعين كاملين .

وتفانت بدرية فى عملها ، وإن كانت قد أخذت شيئاً فشيئاً تشعر بتعاسة لأنها لا تجد فى المنزل أحداً تتبادل معه الحديث ، خاصة وأن جيفرى لم يعد يحضر كل يوم كما اعتاد ، منذ أن بدأت تعمل . وأخذت تلح على جيفرى أن يسرع فى إجراءات زواجهما . وقد وعدها جيفرى بذلك . وكان جيفرى يضحك بينه وبين نفسه عندما أخذت بدرية تناديه بإسمه الذى اتخذه بعد إسلامه ، لكنه أخذ يشعر بالضيق بعد فترة كلما نادته بصوت مرتفع " عبد الغنى " ، وبصفة خاصة فى الأماكن العامة .

وبعد مضى نحو شهر ، أبلغها جيفرى أن صديقاً لرواد لبنانى الجنسية أيضاً يريد منها أن تعمل أربع ساعات أخرى لتنظيف منزله . وكان أكثر ما أسعدها هو أن والدة هذا الصديق لا تعمل ، وستكون فى المنزل أثناء تنظيفها إياه ، بالإضافة إلى أن منزله قريب جداً من منزل رواد ، ولن تحتاج إلى ركوب مواصلات لتنتقل بين المنزلين .

وهكذا بدأت بدرية تعمل فى منزل أنطوان ووالدته ماري .

وعرى الرغم من أن مارى كانت تنعى على بدرية كثرة كلامها ، إلا أنها كانت راضية عن عملها تمام الرضى .

وجاء الشيخ مصباح إلى باريس بعد فترة لم تطل كثيراً ، واجتمع بجيفرى ، وطلب منه أن يصحبه إلى الرياض لأنه قام باستئجار المكان الذى سيكون فيه البنك ، وقال له إنه قد حان الوقت لكى يتفرغ للعمل معه ، إذ أنه لابد أن يمكث فترات طويلة فى الرياض للبدء فى الإعداد لإفتتاح البنك بعد شهرين . وبعد تردد ، وافق جيفرى على تقديم استقالته من البنك .

وبمجرد سفر الشيخ مصباح على أن يلحق به جيفرى بعد أسبوع . قد هذا الأخير استقالته ، وقرر أن الوقت قد حان لأن يتزوج بدرية .

وكانت فرحة بدرية طاغية عندما توجهت مع جيفرى إلى الجامع لكى يزوجهما إمامه . لكن الإمام نصحهما بأن يتزوجا فى البلدية حتى يصبح زواجهما معترفا به . وقال له جيفرى أنه متزوج من أمريكية ، ولا يستطيع أن يتزوج رسمياً أمام السلطات الفرنسية ، وإلا وقع تحت طائلة قانون عدم جواز تعدد الزوجات ، وسأله إن كان زواجه فى الجامع غير شرعى ، فأكد له الشيخ أن زواجه شرعى تماماً ، لكنه ليس معترفاً به من قبل السلطات الفرنسية ، واقترح عليهما أن يسجلا زواجهما فى القنصلية المصرية .

وتوجها بالفعل إلى القنصلية المصرية بناء على إلحاح بدرية . فقد حاول جيفرى أن يقنعها أنه مادام زواجهما فى الجامع مشروعا ، فليس هناك داع للزواج فى القنصلية . لكن بدرية أصرت على أن يكون زواجها معترفاً به رسمياً ، فى مصر على الأقل . واضطر جيفرى للإذعان وهو ساخط على إمام الجامع .

وبعد أن تزوجا ، أخذت بدرية تطالب جيفرى بأن يؤجر لهما شقة يعيشان فيها ، واضطر جيفرى أن يخبرها بمشروع العمل فى الرياض ، ووعدها بأن يكون سكنها فى المملكة العربية السعودية مثل القصر ، وليس مجرد شقة .

ورضخت بدرية ، وأخذت تحلم بقصر عظيم مثل تلك القصور التى كانت تراها فى الأفلام القديمة التى كانت تشاهدها فى التليفزيون المصرى ، وهى ربته .

وكان جيفرى كثيراً ما يسافر إلى الرياض ، لذلك فقد كانت بدرية تفضل أن تعمل بالمنازل ، لأن ذلك يخرجها على الأقل من وحدتها ، فترى الشوارع والناس .

وقد تشجعت وبدأت تتحدث مع من تتوسم فيهم أنهم عرب أحاديث عابرة ، كانت فى حاجة شديدة إليها لكى تبدد شعورها بالوحدة ، كما أنها بدأت تتعلم بعض العبارات الفرنسية السهلة ، التى كانت تنطق بها بطريقة تثير ابتسام الفرنسيين والعرب الذين

يجيدون تلك اللغة . لكن فرحتها بأنها زوجة مواطن أمريكى ، وهو ما كانت لا تترك فرصة إلا وتنبئ به محدثها ، جعلها تتحمل كل شىء .

وأخذت تتوسع فى عملها حتى صارت تعمل ست ساعات فى اليوم ، خمس أيام فى الأسبوع . وهكذا تجمع لديهما مبلغ لا بأس به ، كانت تنوى إرساله إلى أسرتها فى مصر ، لأنها قد أبلغته فى رسالة بعثت بها إليهم أنها تزوجت جيفرى ، الذى أصبح إسمه عبد الغنى ، كما أصرت أن تؤكد لهم . وكانت تقول بينها وبين نفسها إنهم لن يصدقوا ذلك إلا إذا أرسلت لهم مبلغاً محترما من المال . وكان يمكنها أن تطلب من جيفرى مبلغاً ترسله لهم ، لكنها فضلت ألا تطلب منه ذلك حتى لا تشعره بأن أسرتها ستصبح عبئاً عليهما .

وفى كل مرة يعود فيها جيفرى من الرياض ، كانت تسأله متى ينتقلان للحياة فى المملكة العربية السعودية ، فكان يبتسم ويقول لها إن إنشاء بنك ليس مثل فتح محل بقالة ، لكنه يطمئنها قائلاً : إن الأمور تتقدم بخطى حثيثة .

وفى إحدى زياراته للرياض ، وأثناء اجتماعه بالشيخ مصباح ، قد جيفرى للشيخ قائمة بالحاسبات الإلكترونية التى يريد شراءها للبنك ، فإذا بتكلفتها عالية جداً . وانفجر فيه الشيخ قائلاً إنه لن يفتح بنكاً فى أمريكا ، وأنه يجب أن يقدم له ميزانية معقولة . وأكد له أنه ليس صاحب البنك وحده ، لكن له شركاء ، وأنهم لا يمكن أن يوافقوا على هذا الإسراف . وعبثاً حاول جيفرى ، بعد أن خفض طلباته ، أن يقنعه أن هذا هو الحد الأدنى المطلول لبنك .

واستحكم بينهما الخلاف ، إلى أن قال الشيخ مصباح لجيفرى ذات يوم إن التعاون بينهما لا يمكن أن يستمر .

وثار جيفرى وقال له إنه جعله يستقبل من عمله ، والأن ، وبعد مضى ثلاثة شهور ، يخبره أن التعاون بينهما أصبح مستحيلاً ؟

وانتهى الأمر بأن دفع له الشيخ مرتب ثلاثة شهور غير التى عملها ، وبطاقة الطائرة إلى باريس .

وهكذا عاد جيفرى إلى باريس وقد فقد عمله .

قرر جيفرى أن يسافر أن يسافر إلى أمريكا لكى يبحث عن عمل جديد . وعندما أبر بدرية بذلك ، انفجرت فى البكاء فى الطريق العام ، مما جعله يشعر بالحرج ، ويؤكد لها أن أنه سيجد عملاً بسهولة فى بلاده ، وبمجرد أن يتسلمه ، سيرسل لها لكى تلحق به ، وسألته بدرية ودموعها لا تزال منهمرة :

- وسنعيش فى أمريكا .
- بالطبع .. أين تريدين أن نعيش ؟

وغمرت الفرحة بدرية على الرغم من ألمها لفراق جيفرى لفترة من الزمن ، فقد كانت تحلم برؤية أمريكا ، لكنها لم تكن تتصور أن ذلك سيتحقق ، على الأقل فى القريب العاجل ، وهى لن ترى أمريكا فقط ، بل ستعيش فيها ، وأخذت تسأله متى يتم ذلك ، فأخبرها أنه سيسافر بعد بضعة أيام ، وأن البحث عن عمل قد يستغرق شهراً على أكثر تقدير ستكون خلاله أحواله المالية مضطربة ، وأنه سيطلب منها الحضور خلال شهرين أو ثلاثة بكل تأكيد ، وترددت بدرية قليلاً ، ثم قالت :

- عبد الغنى .. لقد اقتصدت مبلغاً من المال من عملى ، ويمكن لهذا المبلغ أن يساعدك فى أيامك الأولى .

ولم يتردد جيفري ، وقال لها :

- بالفعل ، كل مبلغ من المال سيساعدنى حتى لا أضطر لقبول أول عرض يقدم لى ..

وفتحت بدرية كيس نقودها ، وأعطته ما اقتصدته ، وكان يبلغ أكثر من عشرة آلاف فرنك . وترك لها جيفرى ما زاد عن الآلاف العشرة ، ووضع المبلغ فى جيبه قائلاً :

- لن أنسى لك ذلك أبداً .

وقالت له بدرية وقلبها يرقص طرباً :

- ألست زوجى ؟ إن عيونى لك يا عبد الغنى . ثم لا تنس أننى أصبحت أكسب كثيراً من عملى ..

وضحك جيفرى فى سره من تقديرها لما تكسبه ، لكنه قال : إن هذا صحيح بالنسبة لمن هم فى مثل حالها .

وسافر جيفرى بعد أربعة أيام ، وقد مر على بدرية فى فندقها ليلة سفره ، وودعته بدموعها ، وهى تتوسل إليه أن يرسل لها أخباره أولاً بأول .

وطال انتظار بدرية لأكثر من شهرين بدون أن تتلقى أية أخبار عن جيفرى . وقد سألت رواد عنه مرات عديدة ، فكان يقول لها فى كل مرة إنه هو الآخر لم يتلق منه شىء .

وتلقت بدرية خطاباً من أمريكا أخيراً ، فكادت أن تطير من فرحتها ، خاصة وأنه كان خطاباً سميكاً . وركبت المترو لكى تذهب إلى منزل رواد لكى يقرأه لها . وكانت تشعر بأن المترو بطىء جداً ، وأنها لو كانت تعرف الطريق لكانت توجهت لمنزل رواد جرياً على قدميها .

واستقبلتها مها مرحبة ، وقد دهشت لهذه الزيارة غير المتوقعة ، وسألتها بدرية عن رواد ، فعلمت أنه ليس بالمنزل ، فأعطت الخطاب لمها حتى تقرأه لها . وفتحت مها الخطاب ، وفردت الأوراق التى يحتويها ، وبدأت تقرأها وبدرية تلح عليها بالسؤال :

- متى يريد منى أن أسافر ..

ومها لا ترد عليها ، بل إنها أصيبت بحالة من الوجوم . وبعد أن تكرر إلحاح بدرية ، قالت مها بصوت حزين :

- اسمعى يا بدرية .. إن هذا الرجل لا يستحق أن تفكرى فيه .. حاولى أن تنسيه .

ونظرت إليها بدرية وقد أذهلتها المفاجأة ، وبدأ الغضب يسيطر عليها ، فقالت :

- من فضلك .. كل ما أطلبه منك هو أن تقولى لى متى يجب أن أسافر ، أما باقى ما فى الخطاب ، فإننى سأجد شخصاً آخر يقرأه لى ..

وترددت مها ، التى شعرت بالعطف الشديد على بدرية ، لكنها حزمت أمرها فى النهاية وقال :

- لقد أرسل لك ورقة طلاق صادرة من القنصلية المصرية ..

ونظرت إليها بدرية غير مصدقة ، وبعد برهة قالها لها :

- وماذا يقول فى الخطاب ؟
- يقول كلاماً فارغاً ليس له أهمية ليبرر الطلاق .

وشعرت مها أن عينى بدرية يخرج منها شرار من النار ، فقالت :

- حاولى أن تنسى هذا الرجل ، فهو لا يستحقك .

وقالت بدرية بعصبية شديدة :

- شكراً ..

ثم سحبت الخطاب من يد مها بعنف ، وانطلقت نحو باب الخروج ، وحاولت مها أن تلحق بها لكى تهدئ من روعها ، لكن بدرية لم ترد عليها .

وفى الشارع ، كان غضب بدرية يتزايد ، وقالت لنفسها إن مها تغار منها لأن زوجها أمريكى ، بينما زوج مها عربى ، وإن كان ما قالته لها كذب فى كذب ، واتجهت بلا تردد نحو منزل أنطوان .

وعندما أعطت الخطاب لمارى وطلبت منها أن تخبرها بما فيه ، قامت مارى بترجمة كلمات الخطاب حرفياً . وقد قال جيفرى فى الخطاب إنه سيرسل لها رفقه والطلاق ، وأن بدرية ليست من مستواه العقلى والفكرى ، وأنه عندما تزوجها كان يظن أنه يستطيع أن يرتفع بمستواها ولو قليلاً ، لكنه سرعان ما أدرك أنه كان واهما ، وأنها ستظل دائماً مجرد خادمة ، لذلك فإنه لا يستطيع الارتباط بها . ويقول أيضاً إنه ليس معه الآن ما يرد به المبلغ الذى أعطته إياه ، لكنه سيرده لها قريباً جداً .

وسيطر الذهول على بدرية ، لكنها قالت ، وهى تشعر بالأرض تدور بها :

- الورقة الآخرى هى ورقة الطلاق ؟

ونظرت مارى إلى الورقة ، وقرأتها بسرعة ، وقالت :

- نعم ، هى شهادة طلاق صادرة من القنصلية المصرية .

ومدت بدرية يدها ، فناولتها مارى الخطاب بعد أن وضعت فيه الورقتين ، فنهضت واقفة وهى تكتم دموعها ، ثم توجهت إلى باب الخروج بدون أن تقول شيئاً .

وعندما هبطت بدرية إلى الشارع ، كانت مذهولة عن كل ما حولها ، لا ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً ، حتى كادت إحدى السيارات أن تدوسها وهى تعبر الشارع . ولم تتجه بدرية إلى محطة المترو التى لا تعرف غيرها فى الحى ، وإنما استمرت سائرة على غير هدى وهى تكلم نفسها بصوت مرتفع حتى ظن المارة أن بها لوثة من الجنون ..

تعاتب جيفرى حيناً ، وتنعى أحلامها حيناً آخر ، كان ذهنها مشوشاً تماماً ، فلم تفكر حتى فى أنها فى بلد غريب بغير أهل أو معارف باستثناء رواد ومارى .

وبعد أن هامت على وجهها لمدة طويلة أحست بعدها بالتعب ، وجدت نفسها أمام حديقة بها مقاعد خشبية ، فاتجهت إلى أحد تلك المقاعد ، وجلست عليه وهى تائهة عن كل ما حولها ، ثم وضعت يديها على وجهها وأجهشت بالبكاء .

ظلت بدرية تبكى لفترة طويلة ، ثم أحست بيد تربت على كتفها ، وصوت يقول لها بالعربية :

- ماذا بك ؟

ورفعت رأسها ، فرأت أمامها رجلاً فى حوالى الأربعين من عمره ، حسن الهندام ، جاد النظرات ، ولم ترد عليه بدرية ، وإنما أخذت تحدق فيه وكأنها لا تفهم ما يقول فاستطرد الرجل :

- أنت عربية ، أليس كذلك ؟

وهزت له بدرية رأسها بالإيجاب دون أن تفتح فمها .

وجلس الرجل إلى جانبها ، ثم أخرج من جيب سرواله مناديل ورق قدمها لها قائلاً :

- خذى .. جففى دموعك وأنفك . ليس هناك فى هذا العالم ما يستحق كل هذا البكاء .

وأخذت منه بدرية المنديل لحركة لا شعوية ، وكأنها إنسان آلى ، فجففت دموعها ، ثم تمخضت فى المنديل بصوت عالى ، وكتم الرجل ضحكة كادت تصدر منه ، وقال لها :

- إذا كان لديك مشكلة أستطيع أن أساعدك على إيجاد حل لها ، فأنا تحت أمرك .

وظلت بدرية صامتة وهى تحدق أمامها بدون أن ترى شيئاً . وصمت الرجل أيضاً ، مفضلاً أن يتركها حتى تتحدث – إن أرادت – وحدها .

وبعد مضى بضع دقائق ، والرجل متذرع بصبر غريب ، قالت بدرية وكأنها تحدث نفسها :

- ماذا سأفعل الآن ؟

وضحك الرجل هذه المرة ، وقال لها :

- لا أستطيع أن أقول لك ما تفعلينه ، فأنا لا أعرف شيئاً عن مشكلتك .

والتفتت إليه بدرية فجأة ، وقد اكتشفت لتوها أن رجلاً يجلس بجانبها ويوجه إليها الحديث ، وحدقت فيه برهة ثم قالت :

- ماذا تريد منى أنت الآخر ؟

وقال الرجل بهدوء بدا أبويا :

- أنا لا أريد منك أى شىء . كنت مارا من هنا ، فرأيتك تبكين بكاء حارا جداً ، فقلت لك أن لا شىء فى الدنيا يستحق كل هذا البكاء ، وأننى مستعد لمساعدتك إذا أردت ذلك . هذا كل ما فى الأمر ..

وشعرت بدرية بالطمأنينة لذلك الرجل ، فصوته الهادئ الدافئ ، ولهجته الأبوية ، وسنه الذى يكسبه وقاراً ، وملابسه الأقرب إلى الأناقة ، جعلتها تحس نحوه بالأمان ، فقالت له .

- لست أدرى .. لقد طلقنى عبد الغنى ، زوجى الأمريكى ، وليس لى أحد فى هذا البلد ..

وسألها الرجل بنفس الهدوء :

- هل أنت فى حاجة لبعض المال ؟

وأجابت بدرية بسرعة وبشىء من الحدة :

- - لا .. معى ما يكفينى ..

وسأل الرجل مرة أخرى :

- هل عندك مكان تنامين فيه ؟

ونظرت إليه بدرية بريبة ، فاستطرد بسرعة :

- أنا أسألك لكى أحل لك مشكلتك ، ولا أبغى شيئآمنك ..

وقالت بدرية بعد تردد:

- أنا أسكن فندقآ..

وسألها الرجل ، وقد أدهشته إجابتها :

- كنت تسكنين مع زوجك فى فندق ؟
- لا.. هو فى أمريكا .. أنا أسكن الفندق وحدى .

وقال لها الرجل بعد لحظات من الصمت :

- أليس من الأفضل أن تسكنى فى حجرة بدلآ من الفندق ؟ إن ذلك أوفر لك وأكثر أماناً ..
- لست أعرف أحداً هنا ، كما أننى لا أتكلم اللغة الفرنسية ، فكيف أجد غرفة ؟

وابتسم الرجل وقال :

- فى ذلك أستطيع أن أساعدك . هلمى الآن لتستريحى فى فندقك ، ويمكننى أن أراك غداً بعد عملى لنبحث عن غرفة تستطيعين استئجارها .

وهزت بدرية رأسها موافقة ، فنهض الرجل وقال لها :

- هيا بنا .. سأوصلك إلى فندقك .

مر عليها الرجل ، الذى لم تكن تعرف حتى اسمه ، فى حوالى السادسة والنصف مساء ، ونزلت له من غرفتها .

ولاحظ الرجل أن نظراتها لا تزال زائغة ، وأن بعينيها أثر بكاء ، لكنه قال لها مشجعآ :

- أنت اليوم أفضل من الأمس بكثير . هل استقر رأيك على استئجار غرفة ؟

وردت بدرية وهى تشعر بالحيرة :

- لست أدرى ..

وسألها الرجل :

- هل يمكننى أن أدعوك إلى المقهى القريب من هنا لنتحدث بهدوء ؟

وهزت بدرية كتفيها بلا مبالاة ، وكأنها تسلم له زمامها .

وعد الرجل هذه الإشارة بمثابة موافقة، فقال لها :

- هيا بنا ..

وسبقها نحو باب الفندق ، فتبعته وكأنها منومة .

وعندما استقرا فى المقهى ، نظر الرجل إليها مليا ، ثم قال :

- هل يمكنك أن تحكى لى ما حدث لك ، فأنت بالأمس لم تنطقى بكلمة واحدة طوال الطريق .

وأطرقت بدرية لحظات لكى تستجمع أفكارها ، ثم سألته :

- لماذا تريد مساعدتى ؟ ماذا تنتظر منى ؟

وابتسم الرجل وقال :

- أنا لا أريد منك شيئآ . أنا أصلآ من الجزائر ، ورأيت فتاة تبدو عربية الشكل وهى تبكى على مقعد فى إحدى الحدائق العامة بكاء حارآ جدآ ، فقررت أن أهدىء من روعك ، وأن أساعدك على تجاوز أزمتك . وأن أعاونك على إيجاد حل لها إذا أمكننى ذلك . هذا كل ما فى الأمر . وعندما عرفت منك أنك لا تتحدثين الفرنسية ، أدركت صعوبة وضعك . وأكرر أننى لا أتوقع منك أى شيىء .

ولما مضت فترة لم يبد خلالها أن لديها ما تقوله فى هذا الموضوع ، أعاد الرجل سؤاله :

- هل يمكنك أن تقصى على قصتك ؟ مثلا، كيف تزوجت أمريكيا ، وكيف جئت إلى باريس ؟ وهل أنت مصرية ، كما فهمت من لهجتك ؟

وقالت له بدرية :

- نعم . أنا مصرية . وقد تعرفت بزوجى عندما كان يعمل فى القاهرة ، وأحبنى وأحببته . لكنه نقل من القاهرة إلى هنا ، فلحقت به وتزوجنا ..
- ولماذا تركك ؟
- لست أدرى . لقد ذهب إلى أمريكا ليجد عملاً هناك قبل أن ألحق به ، لكنه بدلآ من استدعائى. أرسل لى ورقة طلاق .. لست أدرى لماذا ..

وحاولت بدرية أن تمسك دموعها ، فربت الرجل على يدها قائلآ :

- الدنيا مليئة بالأنذال ..

وتنمرت بدرية فجأة وقالت بحدة :

- عبد الغنى لم يكن نذلا ، لكن لابد أنها زوجته الأولى هى التى لاحقته وتوسلت إليه أن يعود لها مستغلة ابنهما فى ذلك ..

ولم يحاول الرجل أن يعراضها ، فقد شعر بمدى ألمها ، فقال :

- أنا لا أعرفه بالطبع ولا يمكننى الحكم عليه . لكن المهم الآن هو إيجاد حل لمشكلتك . هل تريدين العودة إلى مصر ؟

وانتفضت بدرية قائلة :

- وماذا أقول لأهلى ؟ أقول لهم إن عبد الغنى طلقنى ؟ لقد تركتهم رغما عنهم وهم غير موافقين على زواجى منه ، فماذا أقول لهم الآن ؟ وبأى وجه ألقاهم ؟

وهز الرجل رأسه عدة مرات ، فقد أدرك أنه من الصعب عليه أن يقنعها بأن تفعل ما لا ترضى به .لكنه ، فى قرارة نفسه كان يعتقد أن أفضل ما تفعله هذه الفتاة هو أن تعود إلى بلدها .

- لكن ، كيف تعيشين الآن ، أقصد هل لك مورد رزق هنا ؟

- أنا أعمل فى تنظيف البيوت ، ومكسبى من هذا العمل طيب والحمد لله .

وفجأة ، أطلق الرجل ضحكة وقال :

- هل تدرين أننى لا أعرف اسمك وأنت لا تعرفين اسمى حتى الآن ؟

وابتسمت بدرية لأول مرة منذ رآها الرجل وقالت :

- اسمى بدرية .
- وأنا اسمى طارق بلقازى ، فرنسى من الجزائر ..

ونظرت إليه بدرية بدهشة :

- فرنسى ؟ .. ألست جزائرياً ؟ ألست مسلماً ؟
- كانت . الجزائر جزءآ من فرنسا ، وكان كل الجزائر فرنسيين . وقد غادرت الجزائر إلى فرنسا قبل الاستقلال ، لذلك فأننى لم أحمل الجنسية الجزائرية قط . لكننى مسلم وموحد بالله بالطبع . وجميع سكان الجزائر مسلمون .. أتعرفين شيئآ عن الجزائر ؟
- سمعت من أسرتى أن فرنسا كانت تحتل الجزائر ، وقامت ثورة ضدهم ، وأن الرئيس جمال عبد الناصر ساعد الثوار إلى أن استقلوا ببلادهم . هذا هو كل ما سمعته .
- هذا صحيح . فالجزائريون يدينون كثيرآ للرئيس جمال عبد الناصر لكنهم فى مصر الآن يهاجمونه بل ويسبونه ..
- من قال لك ذلك ؟ هذا ليس صحيحآ . جميع المصريين يحبونه ويترحمون على أيامه ..
- أنا أقرأ الجرائد الفرنسية ، وهى تتحدث عن حملة شديدة على جمال عبد الناصر فى الصحافة المصرية ..
- لا تصدق الجرائد الفرنسية ، فهى تكره مصر والمصريين .

وضحك طارق ، وقال :

- هلم الآن لكى نبحث لك عن حجرة نستأجرها قبل أن يعم الظلام .

وزارا ثلاث حجرات قبل أن تعجب بدرية آخر واحدة زارها لكنها تنبهت فجأة إلى شيىء فقالت لطارق :

- لكن ، كيف أسكن هنا وليس عندى أى أثاث ؟

- سأعيرك سريراً سفريا ومائدة صغيرة وكرسى . وستشترين خزانة من القماش مثل الخزانات الخشبية لكى تضعى فيها ملابسك ، فثمنها ليس مرتفعاً . أعتقد أنك لن تحتاجى لأكثر من ذلك أول الأمر . أليس كذلك ؟
- سأحتاج أيضاً إلى طبقين وكوبين وأدوات للأكل وللطبخ وبوتاجاز صغير ..
- سندبر كل ذلك بإذن الله . وعلى أى حال فأنا أقطن قريباً جداً من هنا ، وإذا احتجت أى شيء فيمكنك أن تطلبيه منى ..

وضحك الرجل ، وقال فى مرح :

- زوجتى ؟ أى زوجة .. أنا لست متزوجاً ..

ونظرت إليه بدرية بدهشة ، وهمت أن تسأله عن السبب ، لكنها لم تفعل .

واستأجرت بدرية الغرفة ، ونقلت إليها ثيابها . وأسلمت قيادها لطارق الذى عاونها على الاستقرار ، وعلى معرفة طريقها إلى المنازل التى تعمل بها .

استقرت بدرية فى حجرتها وأخذت تشعر بالأمان . فقد كان أجر الغرفة الشهرى يقل كثيراً عما كانت تدفعه بالفندق ، كما أن إحساسها بأنها فى مكان خاص بها ، تنظفه بمعرفتها وتطهو فبه طعامها ، جعلها تتجاوز بالتدريج أزمتها ، لكن ذلك لم يمنعها بالطبع من أن تحاول فى كل لحظة تقريباً أن تجد الأعذار لـ " عبد الغنى " ، ومن أن تتحسر على زواجها الذى مر سريعاً فى غمضة عين . وكانت تقول إنها ستتمسك بالعمل عند رواد تحت أى ظروف ، فهو الخيط الوحيد الذى يمكن أن يصل به " عبد الغنى " إليها إذا بحث عنها بعد أن يعدل عن طلاقها . وكانت تعلق آمالاً كبيرة على تغير موقف جيفرى منها .

وكان طارق ، بعد أن ساعدها منذ البداية ، كثيراً ما يمر عليها عند عودته من عمله ، ويجلس ليتبادل معها أطراف الحديث . ولم يكن يدخل عليها خالى اليدين أبداً . فمرة كان يحضر لها فاكهة ، ومرة أخرى خبزاً وفطيرا مما يتناوله الفرنسيون فى طعام إفطارهم ، ومرة مربى .

لكن أكثر ما أدهش بدرية وأصابها بالخجل هو يوم دخل عليها وهو يحمل باقة ورد . كانت تحاول أن تعترض على ما يجلبه لها . لكنه لم يكن يعلق على اعتراضاتها ، بل يبتسم ويجلس ، ويفتح معها موضوعاً للحديث .

وكانت بدرية متحفزة خلال زياراته الأولى ، معتقدة أنه سيحاول أن ينال منها . لكنها أحست بارتياح شديد لطارق عندما وجدت أن زياراته لم يكن لها الهدف الذى تصورته ، وكثيراً ما كانت تدعوه ليشاطرها طعام عشائها ، فكان يقبل شاكراً .

حكت له بدرية بصدق قصة حياتها ، وقد أدهشها أنها لم تشعر بالخجل وهى تقص عليه قصة علاقتها بجيفرى وحملها مرتين قبل زواجهما . ربما لو لم يكن الأمريكى قد تزوجها فيما بعد لأصابها الحرج ، لكنها الآن لا تشعر بالخجل من علاقة ما قبل الزواج .

وحدثها طارق عن نفسه ، فعرفت منه أنه كان فى السادسة من عمره عندما غادر الجزائر وجاء إلى فرنسا وهو يحلم بأن يحقق ثروة كبيرة ، وإن لم يكن يدرى كيف .

كانت باريس بالنسبة لما تعلمه فى المدرسة ، هى عاصمة بلاده . وفى العاصمة يمكنه أن يعمل وأن يجتهد ، ويبحث فى الوقت ذاته عن وسيلة لتحقيق الثروة . وقد عمل أول الأمر فى ورشة لإصلاح السيارات صبياً ، لأنه كان يعشق السيارات الجميلة . وتعلم الميكانيكا بالفعل ، وأصبح ماهراً فيها . لكن الورش الصغيرة ، مثل التى كان يعمل بها ، أخذت تتلاشى لتحل محلها الورش الكبيرة التى تستخدم عشرات ، بل ومئات العمال . وهكذا أغلقت الورشة التى كان يعمل بها أبوابها . وكان قد تعرف أثناء عمله ، على جزائرى يعمل سائقاً لسيارة نقل كبيرة ، عرض عليه عندئذ أن يقدمه إلى رئيسه فى الشركة التى يعمل بها ليعمل سائقاً هو الآخر . وكان إتقانه لميكانيكا السيارات عاملاً مساعداً ، فتم تعيينه فى هذه الشركة ، التى مازال يعمل بها حتى الآن . وقال لها إنه لم يتزوج – على الرغم من أن أجره عن عمله كبيراً يجعله فى بحبوحة من العيش – لأنه لا يريد أن يشعر بالقيود . فالفرنسيات – على الرغم من جمال الكثيرات منهن – مزعجات عندما تصبحن زوجات . وقد تطبعت معظم الجزائريات اللاتى تعشن هنا بطبائع الفرنسيات وصرن مزعجات مثلهن .

ولم تكن بدرية تعلق على أحاديثه إلا فى أقل الحدود ، لكنها كانت تبذل قصارى جهدها فى العناية به عندما كان يزورها . وكان طارق يشعر بالسرور لهذه المعاملة ويمتدح أخلاق بدرية وطريقة طهيها ونظافة حجرتها كلما سنحت له الفرصة . وقد قال لها أكثر من مرة أثناء تناول طعام العشاء إن هذه الوجبات أفضل كثيراً من وجبات المطاعم التى يتردد عليها . وعندما سألته لماذا لا يطهو الطعام لنفسه ، ضحك قائلاً :

- لماذا أشغل نفسى بذلك وأنا أستطيع أن أتناول طعامى فى المطاعم ؟

وتشجعت بدرية ودعته لتناول طعام عشائه معها كل ليلة ، فقبل شاكراً لها .

وأصبح طارق يمر كل ليلة تقريباً على حجرة بدرية ، حاملاً معه أنواعاً من اللحوم والخضراوات وكل ما يلزم لتحضير الطعام . وكان كثيراً ما يساعدها فى الطهى ،ويعلمها طهو أطباق فرنسية لم تكن تعرفها .

وبعد مضى بضعة شهور ، فاجأها طارق يوماً ، بعد أن صمت بعض الوقت ، بأن عرض عليها أن يتزوجا. وأطرقت بدرية . لم تكن هذه الفكرة بعيدة عن ذهنها ، بل إنها كثيراً ما قالت لنفسها "طارق رجل طيب ، كنت أتمنى أن أتزوجه ، لكن ذلك مستحيل بعد أن قصصت عليه ما حدث لى مع عبد الغنى .. ثم إن عبد الغنى قد يعود يوماً " . لكن الأمل فى عودة عبد الغنى كان يتضاءل بمرور الشهور .

لذلك فقد كان عرض طارق آخر ما كانت تتوقعه . ولما لم ترد قال لها طارق :

- أنا أعلم أن فارق السن بيننا كبير ..

وقاطعته بدرية بسرعة قائلة :

- لا
- هل يعنى ذلك أنك توافقين ؟

وهزت بدرية رأسها بالإيجاب وهى مطرقة خجلاً .

وبعد بضعة أيام ، صحبها إلى مكتب تسجيل الزواج فى بلدية الحى الذى يقطنان به ، وعقد عليها قرانه . لكن بدرية أصرت على أن يسجلا زواجهما فى القنصلية المصرية .

وهكذا انتقلت بدرية للسكن مع طارق فى منزله . كان المنزل متسعاً بالنسبة لمنازل باريس . وإن كان فى حى متوسط المستوى ، معظم سكانه من الجزائريين والمغاربة .

وقد شعرت بدرية بالارتياح لذلك ، فإنها كان يمكنها أن تشترى ما يحتاجه المنزل بدون مترجم يشرح للبائع ما تريده . وقد تعلمت بعد فترة ألفاظ اللهجة الجزائرية ، التى كانت تضحك أول الأمر عند النطق بها .

لكن هذا الاستقرار فى الحياة الجديدة لم يكن ليمنع بدرية من التفكير فى مصيرها . لقد كانت تحلم ، وهى زوجة لعبد الغنى ، أن تحيى حياة السيدات اللاتى كانت تنظف بيوتهن ، وكان زوجها أمريكى وموظف كبير فى بنك أمريكى أيضاً ، وأصبحت الآن زوجة لعربى يعمل سائقاً لسيارة نقل . كان ذلك يجعلها تشعر ببعض المرارة .

وبعد أيام قليلة من زواجهما ، طلب منها طارق أن تتوقف عن الخدمة ، فى المنازل ، مؤكداً لها أن مرتبه يكفى احتياجاتهما ويزيد . وعندما ردت عليه بأنها تريد مساعدة أهلها ، سخر منها قائلاً إن أهلها لا يأبهون بها . وشعر أن ذلك أغضبها ، فابتسم وقال إنها يمكن أن تطلب منه مبلغاً ترسله لأسرتها كل شهر فى حدود المعقول . واضطرت بدرية لقبول هذا الوضع ، فمرت على من كانت تعمل عندهم واعتذرت لهم عن عدم إمكانها الاستمرار فى العمل لأن زوجها لا يريد ذلك .

وكان طارق يعطى لها مصروف يومآ بيوم .وعندما طالبته بأن يعطيها حرية أكبر فى التصرف المالى ، سألها عن السبب ، فقالت له إنها تريد شراء ملابس عندما ترغب فى ذلك ، وربما أشياء أخرى لا تدخل فى مصروف المنزل . ورد عليها قائلآ إنها إذا رغبت فى شىء ، فإنه على استعداد لشرائه لها أو لإعطائها المبلغ اللازم . ولم تفهم بدرية سر الإصرار على التقتير عليها . كما أنه رفض تمامآ أن يفصح لها عن مقدار مرتبه عندما سألته ذلك . وكان حاسمآ فى أمور المال إلى حد جعلها تقبل الوضع وهى غير سعيدة .

وبعد زواجهما بنحو ثلاثة شهور ، أدركت بدرية أنها حامل . وأخذت تنتظر أن يعود طارق من عمله بفارغ الصبر حتى تخبره بهذا النبأ الذى كان بالنسبة لها أجمل لحظات عمرها . فهاهى أخيرآ تستطيع أن تكون أما . لكنها أصيبت بخيبة أمل شديدة عندما رأت رد فعل طارق . أطرق قليلآ ، ثم قال لها :

- هل أنت متأكدة ؟
- أعتقد ذلك ، فإننى عادة منتظمة جدآ ..

وهز رأسه وقال :

- سنتأكد عندما نذهب إلى الطبيب .

أقلقها تلقيه النبأ بمثل هذا الهدوء المشوب ببرود لم تستطع تفسيره ، فسألته :

- ألست سعيداً ؟

وهز كتفيه قائلاً :

- سعيد ؟ لماذا أكون سعيداً ؟

ونظرت إليه بدرية ذاهلة للحظات ، ثم انفجرت باكية . وقال لها بعد لحظات :

- لماذا تبكين ؟ هل أسأت إليك ؟

وأجابته وسط نشيجها :

- كنت أظن أنك ستسعد مثلى بهذا الخبر . إن حلم حياتى أن أصبح أما ، وأنت تبدو كما لو كنت صدمت .. ألا تحب الأولاد ؟
- لا أستطيع أن أحس شيئاً لا أراه . ثم إن العالم يسير نحو الدمار .. الحروب والتلوث والأمراض .. ماذا يفيد أن ننجب أطفالاً لكى يُقتلوا ، وربما يقتلون ونحن أحياء ..

ثم اقترب منها وربت على كتفها وأضاف :

- على أية حال ، سنتأكد أولاً إن كنت حاملاً أم لا ، وبعد ذلك نتدبر الأمر .

وشعرت بدرية برغبة عارمة فى أن تضربه بأى شىء ، وقالت :

- إذا كنت حاملا ، فسأحتفظ بطفلى ..

وابتسم طارق قائلاً :

- لك ما تريدين ..

وابتسمت بدرية ودموعها لا تزال تتساقط .

عندما وضعت بدرية فى إحدى غرف المستشفىالقريبة من منزلهما ، كانت سعادتها طاغية . وعندما عرفت أنها أنجبت بنتا ، زادت فرحتها ، فقد تصورت أن طارق ، مثله مثل الرجال فى مصر ، سيرغب فى إنجاب ابن ، ومعنى ذلك أنها ستنجب مرة أخرى .

ولما سألت طارق عن الاسم الذى يريد إطلاقه على الطفلة ، هز كتفيه فى لا مبالاة قائلآ :

- اختارى أنت الاسم الذى يروقك .

وقالت له وهى لا تأبه بلا مبالاته :

- ما رأيك فى مريم ؟
- كما يحلو لك .

ثم مال على الطفلة ، وابتسم قائلآ :

- إنها لا تشبهك كثيرآ .. شكلها أقرب لشكل أسرتى ..

وقالت بدرية بفرحة :

- نعم .. هى فعلآ تشبهك ..
- مسكينة .. فشكلى لا يمت للملاحة بصلة .
- لا تقل ذلك ، إنها مثل البدر فى تمامه .

وضحك طارق قائلآ :

- الفرنسيون يقولون " غبى مثل القمر " ، فهم يرون أن شكل القمر يمثل قمة الغباء . فهو – بالنسبة لهم – ليست له أية فائدة . فهو مضىء لكنه لا ينير شيئآ ولا يبدد ظلمة ..
- ما لنا نحن والفرنسيين ؟ إن القمر عندما مثال الجمال .
- لأننا متخلفون ..

وضمت بدرية الصبية إلى صدرها قائلة :

- أنا الآن لا أبالى بشىء إلا بإبنتى . قل ما تشاء ، لكننى فى قمة سعادتى .

وضحك طارق قائلآ :

- أدام الله سعادتك ..

ونظرت بدرية بخجل نحو طارق قائلة :

- أنا مثلك ، كنت أريد أن يكون بكرى صبى ، لكننى سعيدة بمريم ، وسيكون ابننا المقبل إن شاء الله صبياً ..

وقال طارق وقد بدا منزعجا :

- أما كفاك ابنتك ؟ تريدين طفلاً أخر ؟
- نعم .. أريد صبيا ، ألا تريد أنت ولدا يحمل اسمك ؟

ورد طارق وعلى فمه ابتسامة مريرة وكأنها يحدث نفسه :

- اسمى ؟ أى قيمة لإسمى ؟ ما أنا إلا سائق سيارة نقل .. عندما جئت إلى فرنسا ، كنت أحلم بالثروة التى استطاع بالفعل تحقيقها بعض أبناء بلدتى لا يزيدون عنى فى شيء حتى التعليم ، وكانت أخبارهم تصلنى . لكننى عندما حضرت إلى هنا عرفت أنهم حققوا ثرواتهم من المتاجرة فى أعراض فتيات جزائريات فى حى بيجال .أصبحوا قوادين ، أزاحوا قوادى مرسيليا الذين كانوا يحتكرون هذا العمل فى بيجال بعد حرب ضروس ، راح ضحيتها العشرات من الطرفين ، وانتهت بانتصار الجزائريين . ورفضت ذلك الطريق على الرغم من عروض بعضهم المغرية . وها أنا ذا مجرد سائق سيارة نقل .
- لا تقل ذلك . أنت الخير والبركة . وسيكافئك الله على أنك رفضت اتباع هذا الطريق سترى .

وهز طارق كتفيه ولم يرد ، فأضافت بدرية، وقد شعرت بغريزتها أنها لابد أن ترفع من معنوياته :

- غداً ستدرك أننى كنت على حق .

وبعد لحظات من الصمت قال لها طارق :

- من الآن فصاعداً ستتناولين حبوب منع الحمل ، فأنا لا قبل لى بطفلين . لقد وافقت على أن تحتفظى بهذه الفتاة لأننى أدركت أنك فى حاجة إلى طفل . لكن لابد أن نتوقف هنا .

وترددت بدرية ، هل تعارضه وتتمسك بحقها فى أن يكون لها عدة أبناء ، أم تترك الأزمة تمر ، وفضلت الحل الأخير ، فقالت :

- على أية حال ، طالما أنا فى حالة رضاع ، فلا خوف من حمل ثان .

ورد طارق بحسم :

- لا ثانى ولا ثالث . وسأستفسر عن مسألة الرضاع هذه .

والتزمت بدرية الصمت ، لكنها فى قرارة نفسها كانت تقول " قل ما بدا لك ، وسنرى أينا الذى سيحقق ما يريد " .

****

أصبحت مريم شغل بدرية الشاغل ، فكانت لا تتركها ثانية واحدة ، حتى وهى تنظف شقتها . تطهو الطعام . كانت تقصد من مصروف المنزل البسيط لكى تشترى لها ملابس أنيقة . وقد ساءها أن طارق لم يكن يلتفت كثيراً للفتاة ، بل إنه كان كثيراً ما يؤنبها لأنها أهملت شيئاً بسيطاً ، ولا يقبل عذرها بأن مريم تحتاج لرعاية تستغرق وقتاً طويلاً جداً .

لكن هذا الحال لم يدم سوى بضعة شهور ، فقد بدأ طارق يبدى اهتماما بالطفلة بمجرد أن بدأت تتعرف عليه ، وتبدى فرحتها عندما يعود من العمل ، وتقبل أن يحملها ، بعد أن كانت أول الأمر ترفض أن يحملها غير أمها . أخذ يداعبها ، ويدللها ، كما بات يشترى لها لعباً بسيطة مما يلهو به الأطفال الذين لم يتموا عامهم الأول ،.وفرحت بدرية بذلك التبدل وقالت لنفسها إنه ربما يجعله يغير رأيه فى مسألة إنجاب طفل آخر . لكنها كانت تصاب بخيبة أمل كلما سألها إن كانت لا تزال ترضع مريم .

ومساء يوم عيد ميلاد الطفلة الأولى ، انتابت بدرية – التى لم تكن تعرف حتى أن ابنتها قد بلغت من العمر سنة – فرحة كبيرة عندما دخل طارق من عمله وهو يحمل حلوى ولعبة لمريم ، وشمعة أضاءها لكى تطفئها . وكانت تبدو عليه السعادة بإبنته ، مما أحيا آمال بدرية فى أن تقنعه بالإنجاب مرة أخرى . لكنها قررت ألا تفاتحه فى الموضوع فى هذا اليوم .

وبعد عدة أيام ، سألها طارق إن كانت لا تزال ترضع مريم ، فأجابته بالإيجاب ، وسألته :

إن كان لم يغير رأيه بصدد إنجاب طفل آخر ، فقال لها :

- ألا تدركين أن أحوالنا المالية لا تسمح لنا بأن يكون لنا أكثر من طفل واحد ؟

- لماذا ؟ إن الله يسترنا ، وأنت تكسب جيداً ، وأحوالنا والحمد لله علي ما يرام..

وقاطعها طارق قائلاً :

- أنصتي إلي .. أنت غير عاقلة وأنا لا أريد مناقشة هذا الموضوع . قلت لك أننا لن ننجب طفلاً ثانياً ، وهذه هى كلمتى الأخيرة ، فإن لم تعجبك ، سأحضر لك بطاقة سفر إلى القاهرة ، وتعودين إلى أسرتك ، أرجو أن يكون ذلك مفهوما تماما .

ولزمت بدرية الصمت ، وإن كانت فى قرارة نفسها تشعر بثورة عارمة .

وعندما توقفت بدرية عن إرضاع مريم ، أحضر لها طارق حبوب منع الحمل ، وأمرها بشكل قاطع أن تتناولها بانتظام .

ونفست بدرية بعضاً من ثورتها بزيادة مطالبها ومطالب ابنتها من طارق . وأخذ طارق يضيق بذلك ،وكثيراً ما كان يرفض تحقيق طلباتها . لذلك فقد قالت له يوماً إنها قررت أن تعود للعمل فى تنظيف المنازل . وحاول طارق أن يثنيها عن ذلك ، بل إنه كان يتهمها بأنها تستعذب حياة الخدمة فى بيوت الآخرين . لكنه اضطر أن يرضخ تحت ضغط إلحاحها .

وهكذا ، فقد قيدت بدرية الطفلة فى دار حضانة بلدية الحى ، حتى تستطيع أن تتركها فيها أثناء عملها .وقد اطمأنت تماما عندما شاهدت بنفسها كيف يعنون بالأطفال فى الدار . وعادت تعمل عند رواد وأنطون .

واستمرت بدرية تناول الحبوب بالفعل رغماً عنها لمدة أربعة شهور ، لأن طارق كان يسألها كل يوم تقريباً عن ذلك . وعندما شعرت أن زوجها بدأ يطمئن ، توقفت عن تناول الحبوب . وشعرت بعد شهر أنها حامل للمرة الثانية ، لكنها كتمت الخبر عن طارق .

ولاحظت بدرية بعد حياة زوجية دامت عامين ، أن طارق يتغيب دائماً يومى السبت والأحد ، يومى عطلته الأسبوعية ، بعد تناول طعام الغداء مباشرة ولا يعود إلى المنزل إلا بعد الغروب . وعندما استفسرت منه عن سبب ذلك ، ثار ، وقال لها إن ذلك لا يعنيها ، وأنها يجب عليها ألا تتدخل فيما لا شأن لها به . وأدهشت ثورته بدرية ، فلزمت الصمت .

كان فارق السن بينهما يجعل بدرية تشعر بنوع من الرهبة أمام طارق . لكن ثورته فاجأتها ، وجعلتها تتصور أنه على علاقة بامرأة أخرى ، لكنها لم تجرؤ على مفاتحته فى ذلك .

وكانت بدرية قد تعرفت بإحدى جاراتها الجزائريات ، وهى سيدة تجاوزت الخمسين من عمرها . وكانت بدرية تتبادل معها الحديث من حين لآخر على سلم المنزل ، وأحست بارتياح لها . وشكت لها بدرية غياب طارق ، وأسرت لها أنها تظن أنه على علاقة بامرأة أخرى . وضحكت جارتها ، وقالت له :

- لا يا بنتى .. إن طارق ليس على علاقة بإمرأة أخرى ، لكنه يذهب إلى سباق الخيل .. كل سكان الحى يعرفون ذلك . وهو يخسر مبالغ طائلة من أمواله فى المراهنة على الجياد .. إنه مصاب بذلك الداء منذ أمد طويل جداً

وعلى الرغم من أن هذا الاكتشاف رد لبدرية ثقتها بنفسها ، التى كانت قد تزعزعت منذ أن بدأت تشك فى أنه على علاقة بإمرأة أخرى ، إلا أنها من جهه أخرى أخذت تشعر بالغيظ من طارق ، الذى يبذر أمواله بلا طائل .

وعندما فاتحته بما عرفت ، شعرت أنه يكتم بالكاد ثورة عارمة ، وسألها :

- من أخبرك بذلك ؟

ولأول مرة ، لم تشعر بدرية بالرهبة تجاه طارق ، فقالت له متحدية :

- جارتنا التى تسكن الشقة التى أمامنا .

وانفجر طارق كالبركان ، وإن كان قد حرص على ألا يسمعه الجيران ، وبصفة خاصة فى الجزء الأخير من كلامه :

- منذ متى تتجسسين على ؟ لقد سبق أن قلت لك ألا تتدخلى فيما لا يعنيك . لا توجهى الحديث إلى هذه العجوز الشمطاء بعد اليوم .. أتفهمين ؟

ووقفت بدرية قائلة فى صراخ :

- تريدنى أن أمكث فى المنزل ولا أخاطب أحداً بينما أنت تلعب وتخسر أموالك ؟ أنا لست خادمة عندك .

وألجمت المفاجأة لسان طارق ، فقام هو الآخر من جلسته ، وصفع بدرية على وجهها ، التى سارعت بإنشاب أظافرها فى وجهه ، فجرحته فى خده ، وسالت منه قطرات من الدم . ونظر طارق نحوها مذهولاً ، وتقدم ليفتك بها ، وقد فقد أعصابه تماماً ، لكن طرقا على بابهما جعله يتوقف ، وقال بهمس وهو يكز على أسنانه :

- يا للفضيحة ..

واتجه صوب الباب ففتحه بعد أن أزال بيده قطرات الدم من على خده ، فوجد زميلاً له كان يعمل فى مدينة أخرى ، ولم يكن قد رآه منذ مدة طويلة ، ولم يكن صديقه قد عرف بعد بنبأ زواجه ، فابتسم له ، وخرج إليه ، وأغلق باب الشقة خلفه .

واستعادت بدرية شيئاً من هدوئها بعد خروجه بقليل ، وأخذت تراجع نفسها ، قالت إنها ثارت فى وجه طارق لأول مرة ، بل وأصابته بجراح . صحيح أنه كان هو البادئ بالاعتداء عليها ، لكنه على كل حال زوجها . لقد ثار ثورة غير مبررة عندما عرف أنها أطلعت على ما كان يعده سرا ، ولو ناقشها بهدوء ، كما كان يفعل عادة ، لكان يمكن أن يمر الأمر . وتساءلت عما يمكنها أن تفعله هى وابنتها فى هذا البلد لو طلقها طارق .. والأدهى من كل ذلك ، أنها حامل للمرة الثانية ، ولم تخبره بعد ذلك . وقالت لنفسها إنه ربما لو عرف أنه سيصبح أبا للمرة الثانية ، سيقلع عن تبذير أمواله بهذه الطريقة الصبيانية ، لذلك قررت أن تبوح له بهذا السر بعد استرضائه .

وأخذت الوساوس تنتابها وهى تنتظر عودة زوجها ، لكن الوقت تأخر ولم يعد . وزاد ذلك من مخاوفها ، فربما يمضى ولا يعود . ماذا يمكنها أن تفعل فى هذا البلد الغريب بطفلة لم يبلغ سنها عامين بعد ، وهى حامل فى شهرها الثالث ؟

وعلى الرغم من كل تلك الأفكار المقلقة ، أستغرقت بدرية فى النوم على الكرسى الذى كانت تجلس عليه ، ولم تشعر بعودة طارق فى ساعة متأخرة من الليل .

وعندما رآها نائمة ، تركها مكانها ، ودخل إلى السرير ،فقد كان عليه أن يستيقظ مبكراً لكى يذهب لعمله ..

واستيقظت بدرية مبكراً كعادتها ، فوجدت نفسها نائمة على الكرسى . ونظرت نحو حجرة النوم بسرعة ، وشعرت بالراحة إذ رأت أن طارق ينام فى السرير . وقامت وهى تشعر أن جسمها يؤلمها ، وتوجهت إلى الحمام بسرعة لكى تغتسل . وشعر

بها طارق ، فاستيقظ بدوره ، ونظر فى ساعة يده ، لكنه لم يقم من السرير حتى تغادر بدرية الحمام ،. وبعد أن اغتسلت بدرية ، توجهت إلى المطبخ لتجهز طعام الإفطار ، قائلة لطارق :

- صباح الخير .

ولم يرد عليها طارق ، ونهض ودخل الحمام ليغتسل بدوره .

ولم يوجه لها كلمة واحدة أثناء تناول طعام إفطاره ، بل وتحاشى النظر نحوها ، وأرادت هى تبديد هذا الصمت فقالت :

- ماذا تريد أن أعد لك الليلة من الطعام ؟

ولم ينظر طارق إليها ، وكأنه لم يسمعها ،وبعد أن تناول إفطارآ سريعآ ، نهض ، وغسل يديه ، ثم اتجه نحو باب الخروج . وقالت بدرية :

- لم تعطنى مصروف المنزل اليوم ..

وأخرج طارق من جيبه مبلغآ من المال عده . وعندما مدت يدها نحوه لتأخذ المبلغ ، تجاهلها ، ووضعه على المائدة ، وخرج .

وعلى الرغم من هذا التجاهل ، فقد كانت بدرية سعيدة . فأخشى ما كانت تخشاه هو أن يترك لها طارق المنزل ، أو أن يطردها منه . أما تجاهلها ، فقد كانت تعلم أنه لا يمكن أن يدوم إلى الأبد . وقد تساءلت للحظة إن كان يمكنه أن يفاجئها يوماً بأنه اشترى لها بطاقة طائرة للعودة إلى القاهرة ، لكنه سرعان ما تذكرت أن هناك مشكلة مريم .

فهو لا يمكنه – بعد أن تعلق بالطفلة – أن يدعها تأخذها معها ، كما أنه لا يستطيع ترك عمله للعناية بالطفلة إذا قرر أن تسافر هى وحدها . لذلك فقد استبعدت ذلك الخاطر بسرعة .

ولمدة ثلاثة أيام ، ظل طارق لا يتحدث معها على الإطلاق ، وبعد عودته من عمله ، كان يداعب مريم بعض الوقت ، ثم يخرج ولا يعود إلا عند موعد نومه . وحاولت بدرية إثارته ، فكانت ترتدى ثياب مغرية ، وتحاول الالتصاق به عندما يدلف إلى السرير ، لكنه كان يبتعد عنها . وباءت كل محاولاتها كلها بالفشل .

وفى الليلة الثالثة ، قررت بدرية أن تحسم الأمر ، فقالت له بعد أن دخل السرير وأعطاها ظهره :

- هناك شيء كنت أريد أن أقوله لك ..

ولم يرد ، كما كانت تتوقع ، فاستطردت :

- أنا حامل ..

وقام طارق جالساً فى السرير وحدق فيها بغيظ وقال :

- ما هذا الهراء .. أنت تتناولين حبوب منع الحمل ..

وأطرقت بدرية كتلميذ أذنب وقالت :

- نسيت أن أخذه يوما ..

واستشاط طارق غضباً ، وهتف قائلاً :

- أنت تكذبين .. لقد تعمدت ألا تتناولينه لكى تضعيني أمام الأمر الواقع ..
- أبداً والله . لقد نسيته يوماً ..

وقال طارق والغضب لايزال مسيطراً عليه ، وقد عاد لرقدته موليا أياها ظهره :

- سآخذك غداً إلى طبيب ليجهضك ..

ودارت بدرية ابتسامتها وقالت :

- لست أدرى إن كان ذلك ممكناً ، فأنا حامل فى شهرى الثالث .

واعتدل طارق فى السرير مرة أخرى وقال :

- وأخفيت عنى الخبر .. حسن .. سنذهب إلى الطبيب وأطلب منه أن يفعل أى شيء لكى نتخلص من هذا الحمل ، والآن أتركينى أنام لأننى أعمل غداً ..

أكد الطبيب لطارق أن بدرية حامل . وعندما سأله إن كانت هناك وسيلة للتخلص من الجنين ، أبدى امتعاضه بشكل واضح ، وقال لطارق إنه كاثوليكى مؤمن ، ولا يقوم بعمليات إجهاض تحت أى ظرف كان ، وقال إنه يعلم أن الإجهاض فى الإسلام حرام أيضاً ، فأجاب طارق بالإيجاب ، لكنه أضاف أن ظروفه لا تسمح بالاحتفاظ بالجنين ، وأنهما على أية حال لديهما طفلة لم تبلغ الثانية من عمرها بعد . وقال الطبيب إنه ، بصرف النظر عن الاعتبارات الدينية والأخلاقية ، فمن الخطر جداً محاولة التخلص من الجنين فى هذه المرحلة ، ونصحه بأن لا يحاول ذلك ، حتى إذا وجد طبيباً يجرى عمليات إجهاض .

وأدركت بدرية – التى لم تفهم ما قاله الطبيب ، من تجهم طارق أن الطبيب رفض إجراء العملية ، لكنها كتمت فرحتها فلم تظهرها خوفاً من إثارة طارق .

ولم يصب طارق باليأس ، بل سأل أصدقاءه وجيرانه عن طبيب يجرى مثل هذه العمليات ، فدله أحدهم على طبيب اعتاد على إجرائها. وصحب بدرية إليه . لكن هذا الأخير قال له إنه من الخطر التخلص من الجنين فى هذه المرحلة ، وأنه لا يمكن أن يتحمل مسئولية القيام بذلك ، ونصحه هو الآخر أن يتقبل قضاء الله .

وكتم طارق غضبه ، لكنه قرر أن يكون ذلك هو آخر ما تفرضه عليه بدرية ، لذلك فقد توقف تماما عن أن يعاشرها معاشرة الأزواج . كذلك فإنه لم يعد يتبادل معها إلا الحديث الضرورى .

ولم تابه بدرية بذلك أول الأمر ، فقد كانت واثقة أن ثورة الغضب ستزول يوما ما ، وتعود الأمور كما كانت . وطال انتظارها حتى وضعت طفلها الذى أطلقا عليه اسم عمر .

وألهتها فرحتها بعد فترة من الزمن ، لكن ما أقلقها هو أن طارق لم يعرب عن سعادته بمولوده الذكر الأول . لم يكن حتى يداعبه كما كان يداعب مريم ، بل كان لا يكاد ينظر إليه ، وقالت لنفسها إنه سيغير موقفه هذا حتما بعد أن يبدأ الصبى يعى ما حوله . وعندما كانت توجه إليه الحديث عن ابنهما ، كان لا يرد عليها وكأنه لم يسمع كلمة واحدة مما قالت . كذلك فإنه لم يزد من مصروف المنزل شيئاً ، على الرغم مما كان عمر يمثله من عبء مالى إضافى . وعندما فاتحته يوما فى ذلك ، قال باقتضاب إن المبلغ الذى يعطيه إياها هو كل ما يستطيع تخصيصه لمصروف المنزل . وشعرت بدرية بغضب شديد ، فقالت وهى تحاول كتمان انفعالها :

- ما فائدتك إذن ؟ أنت لا تنفق على منزلك لما يكفيه ، مع أنك تكسب جيداً ، ولا تهتم بإبنيك ولا بزوجتك . لقد مضت ست شهور لم تقرب منى خلالهم .

ولم يرد عليها طارق ، وكأنها كانت تخاطب شخصاً آخر ، وقالت بعد لحظات انتظارها لرده :

- أجبنى . ما فائدتك ؟

وأجاب طارق وهو يتجه نحو باب الخروج :

- لا فائدة منى على الإطلاق . وإذا كان ذلك لا يعجبك ، فأنت حرة فيما تريدين عمله .

وخرج صافعاً الباب خلفه . وانخرطت بدرية فى البكاء . وعندما شكت بدرية لمها ، أخذت هذه تحاول أن تطيب خاطرها ، وقالت لها إنها يجب أن تتحلى بالصبر ، فطارق نفسه لا يمكن أن يتحمل طويلاً أن يظل شبه صامت طول الوقت . وأمام يأس بدرية ، اقترحت عليها مها أن توجه الدعوة بإسمهما ، هى ورواد ، لطارق كى يتناول العشاء معهما أحد أيام الأسبوع المقبل . وفرحت بدرية بهذه الفكرة وشكرت مها .

وعندما أبلغت بدرية طارق بأمر الدعوة ، أعرب عن دهشته ، وسألها عن سببها ، فقالت له إنها لا تعرف السبب ،. كل ما فى الأمر أن مها أبلغتها بأمر تلك الدعوة وطلب منها أن تحاول معرفة مناسبتها ، إذ لابد من إحضار هدية إذا كانت هناك مناسبة معينة . شعرت بدرية بالفرحة ، إذ أن معنى ما قاله طارق أنه قد قبل الدعوة .

واستشارت بدرية مها فيما تقوله لطارق ردآ على تساؤله ، فقالت لها :

- اخبريه أننا نود أن نتعرف عليه فحسب ، فأنت تتحدثين عنه باستمرار ، مما جعلنا نريد أن نراه .

وفى اليوم المحدد للدعوة ، ارتدى طارق ملابس أنيقة ، وأصر على أن يمر على بائع ورد لكى يقدم باقة منها لمها .

ومرت السهرة على خير ما يرام ، تبادل خلالها رواد وطارق حديثآ تطرق قليلآ إلى السياسة العربية ، كما تطرق إلى ظروف المعيشة فى فرنسا ، وكيف تطورت منذ وصل طارق إليها . وكانت بدرية تشعر بسعادة كبيرة لأن طارق كان يرد عليها بصورة طبيعية عندما توجه إليه الحديث . كما سعدت بالمعاملة التى لقياها هى وطارق من قِبل مها ورواد . فقد كانا يعاملانهما معاملة الند بالند .

كانت تخشى أن يتصرف مع رواد على أنه زوج خادمة ، لكنها شعرت أنه يتصرف مع طارق تماماً مثلما كان يتصرف مع جيفرى فى المرة الوحيدة التى رأتهما معاً .

وفى طريق العودة إلى منزلهما . سألت بدرية طارق عن رأيه فى مضيفيهما ، فقال باقتضاب إنهما محترمين ، وألحت بدرية فى السؤال فيما إذا كان يشعر الآن بالاطمئنان لعملها عندهما ، قال :

- نعم ..

ولم يزد .

لكن أمل بدرية خاب عندما لم يتغيرموقف طارق منها ومن الأولاد . فقد استمر يتجاهل أهل بيته تقريباً مثلما كان يفعل قبل تلك الدعوة . وأخذت بدرية تصاب بنوع من الاكتئاب ، وأصبحت ، هى التى كانت دائماً كثيرة الكلام ميالة إلى المرح ، حتى أنها كانت كثيراً ما تكلم نفسها بصوت عال وهى تقوم وكأنهما يفهمان ما تقول ، تنتابها فترات صمت طويلة جداً ، وعقلها يفكر فى أحلامها القديمة ، عندما كانت زوجة لموظف أمريكى يعمل فى بنك أمريكى ، وعندما كانت تظن أن المستقبل مفروش بالورود ، وتحلق فى سماوات الأحلام عن حياتها فى أمريكا ، فيزيد ذلك التفكير من اكتئابها .

وقد لاحظت مارى والدة أنطوان ذلك بالطبع ، فقد كانت المرأة تشكو دائماً من بدرية لا تتركها فى حالها طوال فترة عملها بالمنزل ، لذلك فإنها كانت تتعمد أحياناً أن تخرج من المنزل بدون هدف محدد فى الوقت الذى تكون فيه بدرية تقوم بالتنظيف . وعلى الرغم من ضيقها أحياناً من ثرثرة بدرية ، إلا أنها كانت تحبها وتشعر بالتعاطف معها . وقد سألتها عن سبب وجومها ، لكن بدرية كانت تكتفى بقولها إن هناك مشادات بينها وبين زوجها بسبب الأطفال ، ولا تزيد . وسألتها مارى إن كان زوجها يحمل الجنسية الفرنسية ، فأجابتها بالايجاب ، فعادت وسألتها إذا كانت هى قد قامت بإجراءات التجنس بالجنسية الفرنسية ، فنفت بدرية ذلك . حدثتها مارى طويلاً عن مميزات ذلك ، خاصة وأنها لن تفقد بذلك جنسيتها المصرية . وأخذت بدرية تفكر فى الأمر بصورة جدية .

عندما سألت بدرية طارق عما إذا كانت قد حصلت على الجنسية الفرنسية عند زواجها منه ، أجابها بالنفى ، وسألها بدوره عما تريده من الجنسية الفرنسية . قالت إنهما مقيمان فى فرنسا ولا ينويان تركها ، وحتى إذا تركاها ، فإنهما سيذهبان إلى الجزائر ، وفى الحالتين ، من الأفضل التمتع بالجنسية الفرنسية . وعندما سألته عما يمنع من أن تصبح فرنسية الجنسية مثل زوجها وولديها ، وهز كتفه ولم يجبها . لكنها عادت الكرة بعد بضعة أيام ، طالبة منه أن يقوم بعمل اللازم لكى تتجنس بالجنسية الفرنسية . لكن طارق رد عليها بلامبالاة قائلاً :

- افعلى ما تريدين .

وكظمت بدرية غيظها وقالت بصوت حاولت قدر استطاعتها أن تجعله طبيعياً :

- لكن ، لابد من تدخلك فى الأمر ، فأنا لا أستطيع أن أذهب إلى الشرطة وحدى قائلة إن زوجى وأولادى فرنسيو الجنسية ، وأنا أريد أن أصبح مثلهم . لابد لى من أوراق تثبت ذلك .
- ليست عندى أية أوراق .
- لماذا لا تريدنى أن أتمتع بجنسية زوجى وأولادى . إن ذلك من حقى .

وقال طارق لهدوء استفزازى :

- قولى ذلك للشرطة .
- نعم ، سأقول لهم ذلك ، لكن يجب أن تساعدنى ، وهذا حقى عليك أنت .
- حقوقك عندى هو أن أجد لك مسكناً ملائماً وأن أنفق عليك وعلى أولادك . أما فيما عدا ذلك ، فليس لك عندى أية حقوق .

وصرخت بدرية قائلة :

- لا ، عندى حقوق أخرى . أنا امرأة ، وأنت لا تضاجعنى مثلما يفعل الرجل مع زوجته منذ أكثر من عام كامل . أليس هذا من حقى ؟
- لا .
- ماذا حدث لك ؟ هل فقدت رجولتك ؟

وأصاب بدرية الذعر عندما رأت نظرة طارق لها ، وأحست كما لو أن مسا من الجنون أصابه ، وقال لها بصوت خافت لكنه مرتجف :

- إياك أن تقولى ذلك مرة أخرى .

ثم خرج من باب الشقة ، وصفعه خلفه .

انخرطت بدرية فى بكاء حار بعد خروج طارق . كانت قد نتيجة . أتمت أعمال المنزل كلها ، كما لو أنها ناولت طفليها طعام العشاء وقد ناما الآن . أحست أن أنوثتها التى حاولت استخدامها بجميع السبل مع زوجا لم تؤد إلى أى نتيجة . كانت ترتدى له قمصان نوم شفافة ، وتتثنى وتتدلل أمامه بدون أن تحرك فيه شعرة واحدة . وكثيراً ما كانت تشعر بالرغبة الجنسية تتملك جسدها كله ، حتى أنها أحياناً كانت تحلم أن رجلا ، لم تكن تتبين ملامحه فى الحلم ،يضاجعها . وكان يمكنها ، أثناء عمل طارق ، أن تجد بدل الرجل عشرة – كما كانت تقول لنفسها – لكنها ، منذ أن تزوجت " عبد الغنى " لم ترتكب الخطيئة مطلقآ . كانت تريد أن تعيش فى الحلال ، لأنها كانت واثقة أن الله قد رضى عنها .صحيح أن "عبد الغنى "تخلى عنها ، لكن – والحمد لله – عوضها الله عنه بطارق . وإذا كان طارق ، بجميع المقاييس . لا يرقى إلى مرتبة " عبد الغنى " ، لكنه رجل محترم رغم كل شىء ، يعمل عملآ شريفآ يكسب منه ما يجعلها وولديها يعيشون مستورين . كما أنها كانت تشعر برغبة عارمة فى أين يكون لها ولد ، فرزقها العزيز الكريم بطفلين يحسدها عليهما جيرانها لجمالهما . أليس ذلك دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد غفر لها أخطاءها الأولى وأصبح الآن راضيآ عنها ؟

وأخذت بدرية تدعو الله بصوت خافت وسط دموعها المنهمرة أن يهدى زوجها ، وأن يزرع محبتها ومحبه ولديه فى نفسه ، وأن يتوب عليه من داء القمار ، حتى يصلح حال هذه الأسرة وتعيش فى سعادة وهناء . وقالت إن الله يعلم أنها ليست طماعة ، بل إنها قنوعة غاية القناعة . فقد رضيت بطارق بعد أن كانت تحلم بحياة أجمل من ذلك كثيرآ مع " عبد الغنى "حمدت الله سبحانه وتعالى على أنها استقرت وحققت حلمها فى الإنجاب ، وكل ما تطلبه الآن هو أن تعيش فى أمن وسعادة ومحبة ، وهذا ليس على الله بكثير .

وعندما دخلت بدرية إلى فراشها لتنام ، بعد أن انتظرت طارق حتى بعد منتصف الليل ، كانت تشعر بنوع من الاطمئنان . لقد توجهت إليه جل شأنه بكل جوارحها ، وهى واثقة أنه يتخلى عنها .

****

انتفض طارق ، مع مئات غيره من المراهنين ، واقفا بمجرد أن ظهرت الخيل عند المنحنى البعيد على يسار مدرجات حلبة السباق ، واختلط صوته مع صوت الجميع ، كل منهم ينادى الفرس أو الأفراس التى راهن عليها . وأمس التشجيع بالتدريج صراخا يزداد ارتفاعا مع اقتراب الخيل من خط نهاية السباق ، حتى أصبح هديرآ يرتفع إلى عنان السماء . كان المراهنون يبدون وكأن مسا من الهستيريا قد أصابهم

. وخيم الصمت فجأة على مدرجات المشاهدين بعد أن اجتازت الخيل نهاية السباق ، إلا من صيحة حسرة هنا وهمهمة فرحة متوجسة هناك ، وتعلقت أعين المراهنين باللافتة الكبيرة التى تكتب عليها النتيجة الرسمية للسباق . فأعين المشاهدين ، مهما بلغت خبرتها ، ليست مثل الكاميرا التى تسجل اجتياز الخيل لخط الوصول . وبعد نحو دقيقتين من الانتظار المتوتر ، ظهرت النتيجة على اللافتة ، وانفجرت الأصوات من جديد فى تعليقات بصوت مرتفع ، وصرخات فرحة تمتزج بصيحات خيبة أمل ، بل وأحياناً بسباب خارج يندى له الجبين .

والتفت طارق نحو صديقه الذى يصاحبه قائلاً :

- هل رأيت ؟ لقد جاء ترتيب ٦ قبل ١٤ ! لو كان ابن العاهرة رقم ١٤ تخطى ٦ لكان مكسبى على ما أظن قد تجاوز مائتى ألف فرنك .

وهز طارق كتفيه قائلاً :

- الحظ يا صديقى . ومع ذلك فإن مكسبك سيتجاوز ثلاثين ألف فرنك ، بينما أنا خسرت كل ما لعبته .

وضرب طارق كفاً بكف بعد أن ألقى نظرة على تذاكره :

- لقد لعبت كل الاحتمالات تقريباً ، إلا هذا . يا لسوء الحظ .
- على أية حال ، فقد كسبت مبلغاً محترماً .

ولم يرد عليه طارق ، وبعد لحظات اتجها سويا بخطى متثاقلة إلى الخزانة التى سيتسلم منها طارق ما كسبه . وعندما وصلا ، مد طارق يده بتذكرته إلى عامل الخزينة . الذى وضعها فى جهاز الكمبيوتر . وبدون كلمة واحدة ، أخرج رزمة من الأوراق المالية ، وأخذ يعد بسرعة ، ثم مد يده لطارق بمبلغ من المال . وانتحى طارق وصديقة جانباً ، وأخذ يعد الأوراق المالية ، وقال بعد أن أتم ذلك :

- اثنان وثلاثون ألف فرنك .

وقال له صديقة :

- احمد الله على هذا المكسب .
- الحمد لله على كل حال . ولكن أتدرى كم خسرت منذ أربعة شهور لم أكسب فيها شيئاً تقريباً ؟ لقد خسرت أكثر من ذلك كثيراً .

وابتسم الصديق قائلاً :

- إذا كان ذلك يحزنك إلى هذا الحد ، لماذا لا تتوقف عن التردد على سباق الخيل ؟

ونظر إليه طارق مليا قبل أن يقول :

- هل تستطيع أنت أن تتوقف عن ارتياد حلبة السباق ؟

وضحك الصديق :

- إذا كان حالك من حالى ، فتوقف عن الشكوى مثلى .
- أقول لك الحق أننى كثيرآ ما أعنف نفسى ، لأننى فى هذا المكان المنحوس أفقد مالى وأعيش فى توتر عصبى دائم . لكن الداء متحكم ، فما العمل ؟ ولعلك تذكر أننى أمتنع عن الحضور يومآ واحدآ كل حين وآخر ، لكننى فى هذا اليوم أشعر أننى لا أحيا . وفى اليوم التالى ، أشترى جريدة السابق ، وأدرس النتائج ، وأقول لنفسى أننى لو حضرت لكنت قطعآ قد كسبت ثروة كبيرة ، فقد كان من المؤكد أن ألعب الخيل الرابحة . وفى اليوم التالى أجد نفسى متجها إلى المضمار كالمنوم ..

برقت عينا بدرية ، وأحست كأنما إنزاح كابوس من فوق صدرها ، عندما رآت طارق يفتح باب المنزل بعد الغروب بقليل ، وهو محمل بلفافات . واتجهت نحوه مبتسمة :

- ما كل هذه اللفافات ؟
- بعض الفاكهة ولعبة لكل طفل ..

أخذت بدرية تساعده فى وضع اللفافات على المائدة وقلبها يزغرد فرحا . لقد تأكدت أن الله قد استجاب لدعائها ، وأن طارق فى سبيله لأن يصبح ، كما تمنت فى دعائها ، رب أسرة مثالى . وقالت له وابتسامة عريضة تملأ وجهها :

- تعيش وتجيب . ربنا يخليك لنا .

وفجأتها نظرة طارق الباردة . لم يرد عليها ، وإنما جلس على كرسى وقال بلهجة حادة :

- أنا جائع . أريد أن أتعشى بسرعة .

وقالت بدرية لنفسها إن طارق لا يريد أن ينهى مقاطعته إياها فورآ ، بل يريد أن يتم ذلك بالتدريج ، فإن هذا أقرب إلى طبعه . أليست هذه الهدايا بداية ؟ وإلا، فلماذا لم يفعل ذلك طوال ما يقرب من عام كامل . وقالت له وهى لا تزال مبتسمة :

- من عينى . كل شىء جاهز ، سأسخن الطعام خلال عشر دقائق فقط .

وهرعت إلى المطبخ حتى قبل أن تفك اللفافات لتعرف ما بها .

وخاب أملها بعض الشىء عندما خرج من المنزل بمجرد انتهائه من تناول طعام عشائه ليسهر فى الخارج كعادته بدون أن يوجه لها كلمة .

وتحولت خيبة أملها إلى إحباط يتزايد يوما بعد يوم ، عندما شعرت أن زوجها لم يغير شيئآ من عادته التى درج عليها منذ أن قاطعها . فهو لا يخاطبها إلا للضرورة القصوى ، ويغادر المنزل كل ليلة بعد أن يتناول عشاءه ولا يعود إلا لكى يدخل مباشرة إلى السرير ، موليا إياها ظهره .

وقررت بدرية ألا تستسلم لهذا الوضع . فهى زوجة مخلصة ، تهتم بمنزلها وبزوجها وبإبنيها كأحسن ما يكون الاهتمام . بيتها نظيف ومنظم ، وطعامها يعجب طارق بكل تأكيد ، فقد كان دائمآ ما يثنى عليه قبل توتر علاقتهما . ما هو الخطأ الذى ارتكبته بحيث يتجاهلها تماما وكأنها ليست بشرا ؟ هل لأنها كانت تريد ولدا

؟ هل هذه جريمة ؟ وإذا كان مثل هذا الخلاف قد وقع مع عبد الغنى ، فهل كان يتصرف بهذه الطريقة ؟ إنها متأكدة أنه لم يكن ليعاملها مثل هذه المعاملة .

وقررت أن تنتظر عودة طارق ، مهما تأخر الليلة ، حتى ترغمه على أن يتحدثا فى هذا الموضوع ، ولو أدى الأمر إلى طلاقها منه . فما الذى تخشاه إلى هذا الحد ؟ إن رواد وأنطوان لن يتركاها فى الشارع . سيجد أحدهما قطعآ حلاً لمشكلاتها . وهى تستطيع – إذا حدث وطلقها طارق – أن تجد زوجا لا يقل عنه مستوى ، بل ربما أحسن منه . وأخذت تغالب بقوة وتصميم ، النوم الذى بدأ يتمكن منها ، لكنها كانت تغفو إغفاءة قصيرة من حين لآخر ، ثم تفيق إلى نفسها فجأة .

واستيقظ فى إحدى المرات على صوت بكاء عمر ، فاتجهت إلى سريره لكى ترى ما به ، وإذا بها تجد أن حرارته مرتفعة بصورة خلعت قلبها . وأخذت تردد الأدعية وتطلب من الله أن يسترها وينقذ ابنها . أخذت الطفل بين يديها ، ولم تدر ماذا تفعل ، فقد طار كل أثر للنوم منها ، لكنها كانت عاجزة تمام العجز عن التصرف . فما الذى يمكنها أن تفعله ؟ وتساءلت هل يبدى طارق عند عودته لا مبالاته المعتادة ؟ أصبح كل كل أملها الآن أن يصل طارق قبل فوات الأوان ، فقد تصورت أن عمر قد يقضى نحبه بين لحظة وأخرى . وشعرت أن الوقت لا يمر ، وأن الدقائق كأنها أصبحت سنوات طوال .

وعندما سمعت صوت أقدام طارق على السلم ، أحست وكأنه سيحمل عنها جزءآ من الحمل الثقيل الذى يجثم على صدرها .

وما أن فتح طارق باب الشقة ودخل ، أدرك أن شيئآ قد حدث . وصاحت بدرية فيه :

- الحقنى يا طارق ، جسم عمر ساخن كالنار ..

وتقدم طارق بلا كلمة ، وجس جسد الصبى ، لكنه كتم ما فى نفسه ، وقال لها :

- سآخذه إلى المستشفى فورآ .

وقالت بدرية ، وقد سالت دموعها التى كانت تكتمها .

- سأذهب معك .

وقال لها طارق وهو يلف الصبى فى غطاء سريرة :

- وهل نترك مريم نائمة وحدها فى الشقة ؟

وترددت بدرية لحظات ، وقد اكتشفت أنها نسيت ابنتها لشدة خوفها على عمر ، ثم قالت :

- سأطلب من جارتنا أن تجلس معها لحين عودتنا ، فأنا سأموت رعباً إذا بقيت هنا وحدى بدون أن أعرف ما حدث لعمر .

وتحسنت معاملة طارق لبدرية بعض الشيء بعد مرض عمر ، لكن علاقتهما لم تعد كما كانت قبل مولد الصبى ..
فقد كان يرد عليها عندما توجه إليه الحديث بدون فظاظة ، وإن كان لا يبادر بفتح حديثمعها . لكنه استمر فى تجاهل محاولاتها لكى تجعله يعاشرها معاشرة الأزواج .
وكانت بدرية تقول لنفسها إن كل شيء سيأتى فى أوانه . وعلى الرغم من عدم قلقها من هذه الناحية ، إلا أنها كانت تتمنى أن تنتهى حالة هذا النوع من المقاطعة فى أسرع وقت ممكن . فكثيرآ ما كانت تشعر برغبة جنسية عارمة تتملك جسدها وتسيطر على عقلها فتشله عن التفكير فى أمر آخر . كذلك فإنها كانت تشعر بقدر من الشك فى أنوثتها ، فكيف لم تكن تحرك رغبة طارق على الرغم مما تبذله لإثارته ؟

لكن الأيام كانت تمر وطارق لا يلين .

وكانت بدرية تعد طعام ولديها ذات يوم ، عندما أتاها صوت طارق من النوم صائحآ بدرية !!

- هل تريد شيئآ ؟ أنا أجهز طعام الأولاد
- قميصى ينقصه زرار . أريدك أن تخيطيه .
- بعد أن أطعم الأولاد سأركبه لك .

ورأت بدرية طارق أمامها فى المطبخ ، وقد ارتدى سرواله بينما صدره عاريآ ، وهو ممسك بقميصة فى يده قائلآ :

- أنا فى عجلة من أمرى ، وأريد أن تخيطى الزرار فورآ .
- يمكنك أن تخيطه أنت ، فلا يمكننى أن أترك الأطفال جوعى .

وأحست بدرية أن صبر طارق ينفذ ، لكنها هى أيضآ كانت مستفزة منه . فكيف يريدها أن تترك طعام الأطفال لكى تهتم بزرار قميصه وقال طارق وصوته يعلو قليلآ :

- الأطفال لن يموتوا من الجوع ، وأنا فى عجلة كما قلت لك .
- فى عجلة لكى تلحق بسباق الخيل ؟
- هذا ليس من شأنك . وأنا أمرك أن تتركى الطعام فوراً لتخيطى لى الزرار .

وانفجرت بدرية صائحة :

- تفضل السباق على أولادك ؟ثم إننى لست خادمة عندك .
- بل خادمة عند الآخرين .. أليس كذلك ؟
- الآخرون على الأقل يدفعون لى أجراً ويعاملوننى باحترام .

قالت بدرية ذلك وقد شعرت بطعنة فى كبريائها . نعم ، هى خادمة منذ نعومة أظافرها ، لكن ، هل كانت تستطيع غير ذلك ؟ إنها لم تذهب إلى المدرسة ، ولم تتعلم أية مهنة أخرى . ولم يكن ذلك يضيرها ، لكن أن يقول لها زوجها –الذى قبلته بعلا بعد أن كانت زوجة لموظف أمريكى كبير ، وبلهجة تنم عن الاحتقار – تلك الحقيقة ، فهذا ما لم تكن لتقبله بسهولة . وجن جنونها عندما أضاف طارق وهو يمضى بقميصه :

- فعلا .. نفسية خادمة !

وصرخت وهى تشعر أن صدرها يكاد أن ينفجر :

- مادمت قد تزوجت خادمة ذليلة وقبلت أن تتركها تواصل العمل كخادمة . فأنت لست رجلاً .

وفجأة ، وجدت بدرية طارق أمامها وقد ارتدى قميصاً غير الذى ينقصه الزرار . وقال لها بصوت مرتجف وهو يكز على أسنانه وعيناه تطلقان الشرر .

- سبق أن قلت لك ألا تنطقى هذه العبارة أبداً .. وهذا آر إنذار لك .

وتركها وانطلق خارجاً .

وشعرت بدرية بذعر حقيقى . فقد كانت نظرة طارق لها تنطوى على بريق مجنون وعلى كراهية . أحست وكأن سائلاً بارداً يجرى فى عمودها الفقرى . خشيت للحظة أن يضربها أو أن يقذف وجهها بأى شىء يقع تحت يده ، فيشج رأسها .

وأصبحت حياة بدرية لا تطاق بعد هذه المشادة . لم يعد طارق يوجه لها كلمة واحدة ، فكانت تعد له طعامه فى موعد عودته من عمله ، وتقدمه له بمجرد أن يجلس على المائدة ، فيأكل ويبدل ملابسه ثم يخرج ، ولا يعود إلا بعد أن تكون قد آوت إلى فراشها .

ولم تتحمل بدرية ذلك . وقالت لنفسها إنه أمضى شهوراً طويلة مقاطعا إياها فى المرة السابقة ، فكيف بهذه المرة ؟ كانت لا تفهم كيف يستطيع أن يظل لا يوجه لها كلمة واحدة هكذا ، فهى شخصياً لا تستطيع أن تكون فى مكان واحد مع شخص

آخر بدون أن تتدفق فى الحديث بلا توقف . وأرجعت ذلك إلى طبيعة الجزائريين ، لكنها هى لا يمكنها أن تتحمل ذلك طول حياتها .

وحزمت أمرها فى أحد الأيام ، وقالت له بينما كان يتناول عشائه :

- غداً ، سآخذ أولادى وأذهب لكى أقيم عند الأستاذ رواد .

ولو كانت قد وجهت هذه العبارة إلى الحائط ، فربما كانت قد تلقت رداً . أما طارق ، فبدا وكأنه لم يسمع شيئاً .

كانت بدرية قد سألت مها قبل أيام إن كانت تستطيع أن تقيم عندها فترة من الزمن مع طفليها ، فهى تعلم أن كل شقة فى العمارة التى يسكنها رواد ومها لها حجرة صغيرة فوق سطح المنزل ، بها حوض وصنبور مياه .

وحاولت مها أن تقنعها أن هذا غير عملى ، فما الذى يمكن أن تفعله بطفليها عندما تتوجه إلى عملها . وردت بدرية أنها ستأخذهما معها ، وأنهما لن يزعجاها أثناء قيامها بالتنظيف ، وأنها على أية حال كانت تفعل ذلك قبل أن تلحقهما بدار الحضانة . وقالت لها مها إنها ليست متحمسة لهذه الفكرة ، ونصحتها بأن تحاول أن تنهى المشكلة مع زوجها .

لكن بدرية قررت أن تضع مها أمام الأمر الواقع ، وليكن ما يكون .

خرجت إذن فى اليوم التالى ، بعد أن جمعت فى الحقيبة المتواضعة التى جاءت بها من مصر ، ثيابها وثياب طفليها ، وتوجهت إلى منزل مها ورواد ، كان مفتاح المنزل معها ، إذ كانت تحضر لتنظيف المنزل بينما هما فى العمل .

وعندما عادت مها من عملها فى حوالى الثانية والنصف من بعض الظهر ، وجدت بدرية مع الطفلين ، وقد نظفت المنزل وأعدت لها طعام الغداء . وقد أعدت بدرية الطعام لكى تغرى مها بإبقائها هى وولديها ، موحية بذلك أنها قد تفعل ذلك كل يوم إذا وافقت على إقامتهم عندها .

وأكدت بدرية لمها أنها أخطرت طارق بأنها ستترك المنزل ، وقالت لها إنها ستتصرف إذا رفضت أن تتركهم يستخدمون حجرة السطح ، فقد قررت قراراً نهائياً ألا تعود إلى طارق إلا إذا عاملها بطريقة مختلفة .

وقالت لها مها إنها غير متحمسة لهذا الحل ، ولكنها ستبحث الأمر مع زوجها عند عودته من عمله ، على أن تدرك بدرية أن هذا الحل مؤقت . وأخذت تلح عليها ، من أجل طفليها ، أن تسوى مشكلاتها مع زوجها .

ووافق رواد على بقاء بدرية وطفليها مؤقتاً ، مؤكداً كثيراً على أن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر طويلاً ، وناصحاً إياها هو الآخر بأن تتصالح مع زوجها .

واستقرت بدرية مع طفليها فى الغرفة الصغيرة ، بعد أن وضع لها رواد سريراً قديماً لم يكونا يستخدمانه هو ومها .

أما طارق ، فلم يكلف نفسه عناء السؤال عن زوجته وأولاده .

كانت بدرية تشعر كل يوم يمر بدون أن يسأل عنها طارق ، بأن كبريائها يطعن ، وبصفة خاصة فى الأيام الأولى ، عندما كانت مها تسألها بعد عودتها من عملها :

- هل هناك أخبار من طارق ؟

كانت تطرق برأسها فى مذلة قائلة فى أسى :

- لا ...

وتوقفت مها عن توجيه التساؤول كى لا تجرح شعور بدرية .

وبعد مضى أكثر من شهر ، قال لها رواد :

- بدرية . ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لعودتك إلى منزلك ؟

وانفجرت بدرية فى البكاء ، ثم قالت بعد أن سيطرت على نفسها :

- ماذا يمكننى أن أفعل ؟ هل أذهب بقدمى غلى ذلك الرجل الذى لم يسأل حتى عن ولديه ؟ هل ترضيان بذلك ؟

وساد الصمت للحظات قال بعدها رواد :

- سأذهب لمقابلته وأحاول أن أسوى معه الموضوع . لكن ، لابد أن أعرف المدى الذى توافقين أن أذهب إليه . سأحاول بالطبع أن أصلح بينكما ، لكن ، إذا كان ذلك مستحيلاً ، فهل أقول لك إنك تطلبين الطلاق ؟

وترددت بدرية وهى تفكر بسرعة ، ثم قالت :

- إذا كان ذلك هو الحل الوحيد ، فماذا أستطيع أن أفعل ؟ ولكن ، فى هذه الحالة ، عليه أن يدفع لى ما أنفق به على الطفلين . لكنى أفضل طبعاً أن أعود إلى منزلى ، وإنما بشروطى ، وهى أن يعاملنى كما يعامل الزوج زوجته ، وأن يكف عن المراهنة فى سباق الخيل .

وابتسم رواد قائلاً :

- سأحاول أن أصل إلى أفضل حل ممكن ، وسأعرضه عليك ، فإما أن تقبليه أو ترفضيه .

كان طارق عملياً كعادته عندما ناقشه رواد فى موضوع زوجته وولديه . فقد أكد أنه لم يطرد بدرية من المنزل ، وإنما تركته بمحض إرادتها . وإذا كانت تريد العودة ، فلتعد ، لكنه لن يخطو الخطوة الأولى ، ولن يذهب إليها ليعود بها . واعترف فى

الوقت ذاته أنه كان يقاطعها لأنها خدعته ، وتساءل كيف يستطيع أن يثق فيها بعد ذلك ؟ وأشار له رواد إلى أن بدرية قد تركت بلدها وأسرتها وأنها غريبة تماما فى فرنسا ، لذا فإن الأطفال يمثلون بالنسبة لها أماناً هى فى حاجة إليه . واستطاع إقناع طارق بهذا المنطق ، بعد أن كان قد رفضه أول الأمر . لذلك فقد وعده أن يعاملها بالحسنى إذا ما عادت .

أما فيما يتعلق بسباق الخيل ، فلم يتزحزح قيد أنملة عن موقفه من رفض تدخل بدرية فى هذا الأمر . وعندما أخذ رواد يحدثه عن أن جميع من يراهنون يخسرون أموالهم ، مهما كسبوا من السباق ، اعترف أن ذلك صحيح وأنه واع لذلك تماماً ، كما أقر بأنه كثيراً ما أراد أن يتوقف ، لكن أملاً يداعبه بأن يكسب مرة مبلغاً يشترى به سيارة أجرة يعمل عليها ، حتى يصبح أخيراً حراً غير خاضع لرئيس ونظام صارم . وحاول رواد أن يقنعه بأنه ، لو اقتصد ما ينفقه فى المراهنة لربما استطاع تحقيق حلمه بدون أن ينتظر ضربة حظ . وكان جواب طارق على ذلك :

- لابد فى هذه الحالة أن أنتظر أربع أو خمس سنوات ، بينما لو كسبت مبلغاً كبيراً ، فيمكننى تحقيق حلمى بين ليلة وضحاها .

وقبل أن يفترقا ، قال رواد إنه سيحضر بدرية وولديها بنفسه ، وضحك طارق ضحكة مجلجلة وقال بالفرنسية :

- إنها ليست هدية تلك التى ستحضرها لى .

وأصر طارق على أن يسدد ثمن ما شرباه فى القهوة التى جلسا فيها أثناء مناقشتهما .

وأعربت بدرية عن سعادتها الشديدة عندنا أبلغها رواد بنتيجة مناقشته مع طارق ، وأمطرته بوابل من الأسئلة أخذ يرد عليها بصبر ، ولم يبد عليها أنها توقفت كثيراً عندما أخبرها عن رفض طارق لشرط عدم مقامرته على الخيل ، وإنما ، على العكس من ذلك ، أعربت عن ارتياحها لما دار بينه وبين طارق بهذا الصدد ، على أمل أن يتوقف إذا ما تأكد من عقم تخطيطه .

وفى مساء اليوم التالى ، اصطحب رواد بدرية وطفليهما إلى منزلهما .

واستقبلهم طارق ببشاشة متحفظة . وإن أبدى سروره لرؤية طفليه ، وأخذ يداعبهما ، وقال لهما رواد إنه يريد أن يتركهما لكى يتفاهما ، لكنه يرجو أن يدركا أنهما عاقلان ، وأن التفاهم بين العاقلين يمكن أن يتم بسهولة إذا صفت النوايا . وشكراه على مسعاه ، وانصرف لحال سبيله .

التفت طارق نحو بدرية بعد انصراف رواد وقال لها :

- اسمعى يا بدرية . هذه آخر مرة تتركين فيها المنزل وتقيمين عند آخرين . لقد قبلت عودتك هذه المرة لأن رواد توسط من أجلك . لكن إذا تكرر ذلك ، فلن أقبل اى وساطة . وسرت بدرية لما عدته عتابا ، وقالت بدلال أنثوى :
- لقد شعرت أنك تضيق بى وبأولادى ، فأردت أن أريحك منا .

كان طارق قد اعتاد وجود بدرية وأولاده بالمنزل ، واعتاد أن يصل من عمله فيجد الحياة تدب فى المنزل ، وطعامه مطهواً لذيذاً ، وملابسه مغسولة ومكوية ومرتبة ، والشقة نظيفة . وعندما تركت بدرية والأولاد المنزل ، افتقد كل ذلك ، وشعر أنه عاد إلى حياة العازب التى عاشها منذ أن جاء إلى فرنسا ، والتى كان قد بدأ ينساها وينسى متاعبها الآن . وقد فكر طويلاً أثناء غيابهم ، قائلاً فى نفسه إن بدرية لابد قد أدركت الآن أنه قد يعيد الكرة ويقاطعها مرة أخرى إذا ما أغضبته . لذا قرر أن يترفق إلى حد معقول فى معاملته لها ، لذلك فقد أجاب قائلاً :

- أرجوك ألا تفسرى ما أفعله على مزاجك . كنت غاضباً منك لاحقا لأنك خدعتينى فى مسألة تعاطى حبوب منع الحمل . وكنت قد قبلت ، إشفاقاً منى عليك وعلى غربتك هنا ، أن يكون لنا طفلة . ولم أقبل أن تفرضى على الأمر الواقع وتحملى – بعد أن خدعتينى – للمرة الثانية . وأؤكد لك أننى لن أقبل بأى حال أن تخدعينى مرة أخرى . وأقول لك الحق إننى لم أعد أصدق ما تقولين ، فمن يكذب مرة ..

وقاطعته بدرية قائلة :

- كانت أمنية حياتى أن يكون لى ابن ذكر . لذلك كذبت عليك . لكننى لم أكذب قبلها وأقسم لك بالله تعالى ألا أكذب مرة أخرى .

وقال طارق بهدوء :

- سنرى .

أصبح طارق يعامل بدرية برفق ، لكنها لاحظت أنه لا يوجه لها الحديث إلا نادراً . لم يحكى لها بعضاً من الطرق التى كانت تحدث له أثناء العمل ، مثلما اعتاد أن يفعل فى الأيام الأولى لزواجهما وحتى حملها الثانى . كذلك لم يستأنف معاشرتها معاشرة الأزواج ، مثلما كانت تأمل . وكانت تخجل من مفاتحته فى الأمر . فى سورة الغضب ، كان يمكنها أن تعاتبه بصورة واضحة على هذا الموضوع ، لكنه كان من الصعب عليها أن تفاتحه فى الظروف العادية . كانت كثيراً ما تشعر برغبة جنسية شديدة ، فتحاول أن تغريه . لكنه كان يبدو وكأنه لا يلحظ ذلك .

وأخيراً هداها تفكيرها إلى حل . فقد قالت له يوماً بعد تناولهما طعام العشاء عقب نوم الطفلين :

- قلى لى يا طارق . هل يمكنك أن تشترى لى حبوب منع الحمل ؟

وفوجئت بسؤال طارق ، الذى وقع على رأسها كالمطرقة :

- لماذا ؟

وترددت لحظات كان طارق خلالها يحدق فى عينيها بتساؤل بدا لها غريباً ، ثم قالت :

- أقصد أن ذلك قد يسمح لنا بأن نحيا حياة زوجية .. كما كان الحال من قبل .

واستمر طارق ينظر نحوها نفس النظرة إلى أن خفضت بصرها نحو الأرض ، وقال لها وهو يقوم من كرسيه متجها إلى الحمام :

- سأفكر فى ذلك .

ولم يزد . وبعد أن خرج من الحمام ، اتجه إلى باب الخروج قائلاً :

- ادخلى إلى الفراش لتنامى عندما تشعرين بالنعاس ولا تنتظريني ، فسأعود فى ساعة متأخرة .

وشعرت بدرية بخيبة أمل كبيرة ، لكنها بعد شىء من التفكير ، توصلت إلى أن طارق لا يقول ما ينوى عمله مطلقاً ، وربما فاجأها غداً أو بعد غد بحبوب منع الحمل .

وتوالت الأيام ولا أثر للحبوب أو حتى سيرتها ، وكأنما طارق نسى الموضوع تماما . وتقوقعت بدرية على خيبة أملها وهى تتساءل ، هل سينتهى هذا الموضوع يوماً ؟ وهل يصرف طارق طاقته الجنسية مع امرأة أخرى أو مع عاهرات شارع بيجال

الذى لا يبعد كثيراً عن مسكنهما ، خاصة وأن الكثيرات من بائعات الهوى أصبحن عربيات ؟

كانت تبكى أحياناً عندما يغادر طارق المنزل ، ليس بسبب غيرتها عليه ، فلم يكن يعنيها ما يفعله خارج المنزل ، فهو رجل ، وهذا فى نظرها ، وفق ما تلقته من تلقين أمها ، يجعل مساءلته عما يفعل خارج المنزل غير جائز ، كان بكاؤها لأنها تشعر أن أنوثتها تهان كل ليلة ، عندما يعطيها طارق ظهره فى السرير . وعلى الرغم من أنها قلبت الأمر على كل الوجوه ، حسب ما سمح به خيالها وذكاءها ، إلا أنها لم تستطع أن تجد ما تستطيع أن تفعله .

لقد شكت لمها يوماً ، بعد أن تغلبت على خجلها ، من هذا الموضوع . وأسدت مها لها عدة نصائح تستطيع أن تستثير بها رغبة طارق . وطبقت كل ما نصحتها به مها بدون أى نتيجة . كان طارق وكأنه لوح من الثلج أمام جسدها . فما الذى تستطيعه إذن ؟

كان هذا هو شغلها الشاغل ، ولم تكن تتوقف تقريباً فى التفكير فى هذا الموضوع . وعادت تشعر بالاكتئاب بعد فترة قصيرة من الفرحة لمعاملة طارق الطبيعية لها ولاهتمامه بأطفالهما .

وفى مغرب أحد الأيامم ، بينما كان طارق عائداً من عمله ، رأى بدرية فى الشارع تتبادل الحديث مع شاب فى مثل سنها ، ليس من الجيران ، ولم يكن قد رآه من قبل ، ومعها طفليها . وعندما وقع نظر بدرية على طارق ، سلمت على الشاب ، واتجهت ، وعلى شفتيها ابتسامة ، نحو طارق . ونظر طارق نحوها نظرة نارية . وحيته بدرية ، فلم يرد على تحيتها ، وإنما سبقها متجها إلى منزلهما ، بعد أن أمسك بيد عمر .

وبعد أن أصبحا داخل المنزل ، نزع طارق سترته وقال وهو يعلقها على المشجب بدون أن ينظر نحو بدرية :

- من هذا الرجل ؟

قالت بدرية ، وقد شعرت بشىء من الراحة لأن طارق يغار عليها :

- إنه مصطفى .

ونظر طارق فى عينيها ، وكأنه يريد أن يتبين فيهما ما يريد أن يعرفه :

- من هو مصطفى هذا ؟

وقالت بدرية وعيناها فى عينيه :

- هو شاب مصرى يعمل مبيضاً ، وكان قد جاء مرة لمنزل الأستاذ رواد للقيام ببعض أعمال البياض ، وتعرفت عليه هناك . وقد قابلته اليوم مصادفة بينما كنت أشترى بعض لوازم المنزل ، فتبادلنا حديثاً سريعاً . هذا كل ما فى الأمر .

وسألها طارق والغضب يسيطر عليه شيئاً فشيئاً :

- هل أنت على علاقة به ؟

ودقت بدرية بيدها على صدرها وصاحت :

- ما هذا الذى تقوله ؟ إن هذه كانت المرة الثانية أو الثالثة التى أراه فيها .
- هذا هو ما تقولينه أنت ، لكننى لا أصدق ذلك . لقد رأيتكما منسجمان تماما فى الحديث .

وشعرت بدرية بطعنة فقالت :

- لقد قلت لك الحقيقة ، فلماذا لا تصدقنى ؟

وقال طارق وهو يكز على أسنانه :

- لأنك سبق أن كذبت على ، فلماذا أصدقك الآن ؟

ولم تدر بدرية ماذا يمكنها أن تفعل لكى يصدقها طارق ، فقالت :

- كيف تتصور شيئاً كهذا ؟
- لماذا إذن ارتبكت وتركته فجأة بمجرد أن رأيتنى قادماً ؟
- هل كنت تريدنى أن أظل واقفة أتحدث معه وأتركك تدخل المنزل وحدك ؟ هل هذا هو ما كانت تريده ؟ فى المرة القادمة سأفعل ذلك ..
- إذن ستكون هناك مرات مقبلة .. لقد اعترفت بنفسك .

وقالت بدرية وهى توليه ظهرها :

- أنت دائماً هكذا . والآن ، أنت حر فى أن تصدق أو لا تصدق ، لكننى سبق أن أقسمت لك أننى لن أكذب عليك . وأنا أبر بقسمى .

وارتفع صوت طارق قليلاً وهو يقول :

- لا تذهبى ، فأنا لم أنه كلامى .

والتفتت إليه بدرية وعقدت ذراعيها على صدرها قائلة :

- أفندم ؟
- أريد أن أتأكد أنك لست على علاقة بهذا الشاب .

وفاض الكيل ببدرية ، فقالت متحدية :

- لماذا تغار على ؟ أنت لا تعاشرنى معاشرة الأزواج ، فماذا يعنيك من شأنى ؟

وبدأت عينا طارق تكتسيان بنظرة مجنونة ، وقال :

- سأقتلك إذا تأكدت أنك على علاقة به .
- إن الرجال فقط هو الذين يقتلون زوجاتهم فى هذه الحالة ، وأنت لست رجلاً .

ولأول مرة منذ عرفته بدرية ، صاح طارق بصوت مرتفع جداً :

- سبق أن حذرتك من قول ذلك .

وقالت بدرية وقد قررت أن تحسم الأمر بأى طريقة :

- وأنا أكررها . إنك بالنسبة لى لست رجلاً .
- سأقتلك يا فاجرة ..

وكشفت بدرية عن عنقها وهى تقول :

- أفعل إذا كنت رجلاً .

وجرى طارق إلى المطبخ ، وسحب سكيناً كبيراً مدبب النصل ، وعاد جرياً غلى بدرية ، وقال :

- سأقتلك لكى أستريح منك .

وقالت بدرية ، وهى واثقة أن طارق يهددها فقط :

- اقتلنى إن كنت رجلاً .

وانهال طارق بالسكين على صدر بدرية التى أصابتها دهشة بدت واضحة فى عينيها . وقبل أن تسقط على الأرض ، عاجلها طارق بضربة أخرى .

وسال الدم أول الأمر من صدر بدرية غزيراً ، ثم فمها ، وطارق يميل عليها ويضربها بالسكين ، وقد شعر بلزوجة الدم على يديه .

وقضت بدرية نحبها ، وفى عينيها المفتوحتين نظرة ذعر ودهشة شديدة

.